اليسع الغافقي وجهودة فى البحث التاريخي

د . حمد بن صالح السحيباني
كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الامام محمد بن سعود - الرياض

مقدمة :

حظيت بلاد المغرب والأندلس خلال عصري المرابطين والموحدين ، بوجود عددٍ من المؤرخين والكتاب الذين كتبوا في تاريخ هاتين الدولتين في تلك الديار وهم شهود عيان لما كتبوا أو دونوا من أحداث ، وقد وصلنا العديد من المصادر التي كتبت عن تاريخ المغرب والأندلس في ظل حكم تلك الدولتين مثل كتاب (العبر) لابن خلدون و(الحلل الموشية) لمؤلف مجهول و (نظم الجمان) لابن القطان و (الأنيس المطرب) لابن أبي زرع و (المعجب) لعبد الواحد المراكشي و (تاريخ الدولتين) للزركشي و (أخبار المهدي بن تومرت) للبيذق وغيرها .

وبالإضافة إلى هذه المؤلفات التي وصلتنا ، فقد ألف عددٌ من الكتب التي فقدت أو فقد جزء منها ، ولم يصلنا منها إلا أسفار قليلة ، أو مقتطفات يسيرة أدرجها مؤلفون آخرون في ثنايا كتبهم ، ومن هذا النوع كتاب اليسع الغافقي (المُغرب في محاسن المغرب) كما يسميه بعض المؤرخين [(١)]

وهذا الكتاب ألفه اليسع في مصر بعد استقراره بها سنة ٥٦٠هـ ، وبالرغم من أهميته ، وكون مؤلفه قد طرزه بالدولة الصلاحية ، إلا أنه فقد ، حيث لم يصلنا منه سوى ما نقله منه بعض المؤرخين والكتاب في ثنايا مؤلفاتهم .

ونظراً لأهمية ما وصلنا من هذا الكتاب إذ أنه رصيد علمي مهم في تاريخ المغرب والأندلس ، كتبه أحد علماء الأندلس الذين نشأوا بها في ظل ظروف سياسية صعبة ، كما كان شاهد عيان لكثير مما كتب ، إضافة إلى كون التراث التاريخي الذي فقدت أصوله ولم يبق منه إلا نقول في ثنايا مؤلفات أخرى ، يشكل جزءً مهما من المادة العلمية لتاريخ تلك البلاد مثل (المقياس في أخبار المغرب والأندلس وفاس) لعبد الملك بن موسى الوراق ، وكتاب (فضائل المهدي) لأبي القاسم المصري ، وكتاب النبذة المحتاجة من أخبار صنهاجة لأبي الحسن الصنهاجي حيث كانت النقول من هذه الكتب وغيرها تشكل موردا مهما وقاعدة علمية اتكأ عليها كل من كتب عن تاريخ تلك البلاد وهذا مما يدل على أهميتها وقيمتها العلمية .

ويضاف إلى ذلك ما سبق من كون اليسع عالما ومؤرخا إلا أن تراثه التاريخي بقي مجهولا عند بعض من يعنون بالدراسات المغربية والأندلسية ، ولهذه الأسباب رأيت الكتابة عن هذا المؤرخ وتراثه ، إسهاما مني في الكشف عن أولئك الذين كانت لهم اليد الطولى في كتابة تاريخ المسلمين ، لكن فقد مؤلفاتهم ، أو جزء منها ، جعلهم في عداد المجهولين عند الكثير من الكتاب والباحثين ، على الرغم من أهمية ما كتبوه .

هذا وقد جاءت هذه الدراسة على شقين الشق الأول منها : يتناول التعريف بالمؤلف ونشأته ، ورحلاته وشيوخه ، ثم استقراره بمصر عند

الأيوبيين ، أما الشق الثاني فجاء عن التراث التاريخي لليسع حيث تم التعريف بكتابه المغرب ، ومنهجه ، ومصادره ، ومحتواه ، والحس التاريخي عند المؤلف إضافة إلى قيمته العلمية .

وقد كنت حينما فكرت بهذه الدراسة عازما على جمع كل ما وصلنا من كتابات اليسع التاريخية ، ودراستهافي ثنايا هذا البحث ، ولكن تبين لي بعد ذلك ، أن تلك الكتابات تشكل كما جيدا ، ولهذا رأيت أنه قد يكون من المناسب إفرادها بدراسة مستقلة بينما تبقى هذه الدراسة مقتصرة على المؤلف وكتابه ، وآمل أن تتاح لي الفرصة قريبا لتحقيق هذا ، والله المستعان

نسبه ومولده: ٠

هو أبو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم بن عبدالله بن اليسع بن عمر الغافقي الجياني البلنسي [٢].

مولده :

يتفق المؤرخون على أنه ولد وعاش جل عمره في الأندلس ، حيث سكن المرية ، ثم مالقة ، إلا أنهم لم يحددوا سنة مولده ، ولكن باستقراء بعض النصوص التي رواها المؤرخون يمكن تحديد زمن مولده على وجه التقريب لاالتحديد ، فقد ذكر اليسع أنه في سنة أربع وعشرين وخمسمائة رحل إلى مدينة أشبيلية لطلب العلم على يد شيخها وخطيبها ابن شريح [٣].

كما ذكروا أنه فى تلك السنة حدثه أبو عبد الله محمد بن معمر بداره بمالقة وهو ابن مائة سنة [٤]، كما ذكر ابن الأبار [٥] أنه أخذ العلم عن ابن رشد ، وابن عتاب ، وسفيان بن العاص . [٦] المتوفين سنة خمسمائة وعشرين [٧].

وبالإضافة إلى ما سبق ، فقد ذكر اليسع أنه شارك في القتال الذي وقع بين المسلمين والنصارى بالأندلس حيث قال :« فالتقينا نحن والروم فكمنوا لنا ألفي فارس وظهر لنا أربعة آلاف ، ونحن نحو الألفين . . . وذلك سنة بضع وثلاثين وخمسمائة » [٨] كما ذكر أيضا أنه قبل مشاركته في ذلك القتال عمل سفيرا بين ابن عياض وابن هود حينما نشأ الخلاف بينهما حيث كتب عقد اتفاق وائتلاف بين الطرفين لجمع كلمة المسلمين كما قال [٩]

إن هذه الإشارات التي رواها لنا المؤرخون عن اليسع ، تبين لنا أنه كان منذ العقد الثالث من القرن الخامس الهجري قد بلغ مبلغ الرجال ، وأنه كان يشد الرحال لطلب العلم على علماء الأندلس ، كما أنه في العقد الرابع من

ذلك القرن قد شارك في القتال ضد النصارى ، كما عمل قبل ذلك سفيرا بين القوى الإسلامية هناك ، ولاشك أن من يزاول مثل تلك المسؤليات لابد وأن يكون من ذوي المواهب فضلا عن الخبرة والتجارب ، ولهذا فإني لاأستبعد أن مولد اليسع كان في مطلع القرن السادس الهجري أو في أواخر القرن الخامس ، ولعل الاحتمال الثاني أرجح ؛حيث ذكر المؤرخون أنه حينما توفي سنة ٥٧٥ هـ كان مسنا (١٠)

نشأته وطلبه العلم :

نشأ اليسع بالمرية حيث كان يقيم والده ، وبها بدأ يطلب العلم على أبيه ، حيث تعلم القراءات منه ومن أبي العباس القصبي ، كما سمع من أبي عبدالله ابن زعيبة صحيحي البخاري ومسلم ، ومن أبي الحسن بن موهب السنن لأبي داود . (١١)

وبالإضافة إلى ذلك فقد أجازه عدد من علماء الأندلس بفنون أخرى ، ومنهم أبو عبدالله بن الفرا ، وأبو علي الصدفي وأبو محمد بن أبي جعفر وغيرهم .(١٢)

شيوخه :

يبدو أن مؤرخنا قد تضلع بالكثير من العلوم ، ويدل على هذا تعدد مشايخه ومدرسيه ، ويأتي في مقدمة هؤلاء والده عيسى الغافقي الذي كان يعد من علماء المرية في علم القراءات ، فقد ذكر ابن الأبار أن اليسع أخذ هذا العلم عن أبيه وعن أبي العباس القصبي(١٣) ومما يدل على أنه قد برز في هذا الميدان أخذه هذا العلم عن شريح بن محمد بن شريح(١٤) شيخ المقرئين والمحدثين وخطيب أشبيلية(١٥).حيث قال عنه اليسع : ((هو إمام في التجويد والإتقان .

علم من أعلام البيان ، بز في صناعة الإقراء ، وبرز في العربية مع علم الحديث وفقه الشريعة ، كان إذا صعد المنبر حن إليه جذع الخطابة ، وسمع له أنين الاستطابة مع خشوع ودموع رحلت إليه عام أربعة وعشرين – يعني بعد الخمسمائة – فحملت عنه » (١٦)

وقد ذكر ابن الزبير أنه أخذ العلم عن علماء قرطبة ومنهم أبوالوليد بن رشد (١٧) وابن عتاب (١٨) ، وسفيان العاصي (١٩) والحسن بن زيدان وغيرهم (٢٠) أما علم اللغة فقد أخذه عن العالم اللغوي أبو عبدا لله محمد بن معمر (٢١) حيث قال عنه اليسع :(إنه حدثه بداره في مالقة وهو ابن مائة سنة ، وأخذ عنه عام أربعة وعشرين وخمسمائة ، وله تآليف منها (شرح كتاب النبات)لأبي حنيفة الدينوري في ستين مجلدا) (٢٢)

وبالإضافة إلى هؤلاء فقد ذكر ابن الزبير أن اليسع أخذ العلم عن القاضي أبي عبدا لله بن الفراء ، وأبي الحسن بن موهب ، وابن عبدا لله البلغي ، وأبي الفضل بن شرف ، وهؤلاء جميعًا من أهل المرية . (٢٣)

وبعد هذا العرض السريع لمدارس اليسع ومشاربه الفكرية تتضح لدينا شخصية اليسع العلمية فهو إلى جانب كونه مؤرخًا وأديبًا (٢٤) ، فقد كان فقيها عالما بفنون كثيرة من العلوم الشرعية ، كما كان محدثا حافظا نسابة شاعرا . (٢٥)

هكذا برز اليسع في الدراسة والتحصيل ، وقد ساعده في ذلك ماكان يتمتع به من صفات ومواهب عقلية إلى جانب القدرات التحصيلية ،كما أعانه على ذلك - أيضا - رحلاته التي تجاوزت الأندلس إلى المغرب ، وأفريقيا ، والإسكندرية ، ثم مصر حيث استقر به المقام هناك ، وبها قضى آخر حياته. (٢٦)

أعماله ووظائفه بالأندلس :

يبدو أن اهتمامات اليسع العلمية ، إلى جانب قدراته ومواهبه الذاتية ، قد أهلته لتولي مسؤليات كبيرة في الدول التي عاش بين ظهرانيها هناك ، فقد عمل كاتبا للمستنصر[٢٧] بن هود[٢٨] ، كما كتب أيضا لأبي محمد عبدا لله[٢٩] ابن عياض[٣٠]

ولما ضعفت دولة المرابطين بالأندلس ، حينما ظهرت دعوة الموحدين بالمغرب انتقضت عليهم بعض المدن ، ومنها قرطبة ، وبلنسية ، ومرسية وغيرها ، وكان ابن هود يطمع في الاستيلاء على تلك المدن لكن أهل بلنسبة ومرسية رغبوا في تمليك ابن عياض ، الذي امتنع عن قبول بيعتهم ، لكنه بايعهم عن الخليفة العباسي ، ثم اتفق ابن عياض وابن هود على أن اسم الخلافة لأمير المؤمنين الخليفة العباسي ، وأن النظر في الجيوش والأموال لابن عياض ، بينما تبقى السلطة لابن هود[٣١] . ويبدوأن اليسع كانت له جهود كبيرة في هذا الصلح الذي تم بين ، ابن هود ،وابن عياض حيث قال (فكتبت بينهما عهدا هذا نصه :

كتاب اتفاق ونظام ، وائتلاف لجمع كلمة الإسلام، يفرح به المؤمنون ، انعقد بين الأمير المستنصر با لله أحمد ، وبين المجاهد المؤيد أبي محمد عبدا لله ابن عياض ، وصل ا لله بينهم أبواب التوفيق . .) .[٣٢] وهكذا يتبين لنا أن اليسع كانت له مكانة كبيرة عند ذينك الرجلين حيث فوضاه في عقد الصلح بينهما ، كما أمضيا كل ما اعتمده ورآه في ذلك[٣٣]، وقد أشار ابن الأبار إلى هذا الصلح واتحاد الكلمة بين المسلمين بسبب جهوداليسع[٣٤].

وبالإضافة إلى ذلك ، فقد عمل سفيرا بين ابن هود، وابن عياض، حيث

ذكر أنه حينما أغار النصارى على نواحي شاطبة بعثه عبدا لله بن عياض إلى المستنصر بن هود ليقول له :

(أنا أحتفل للقاء القوم ، فلا تخرج) [٣٥] لكن ابن هود لما بلّغه اليسع بتلك الرسالة ؛ أجاب عليها بقوله : (إنما تريد أن تفسد ما بيني وبين الروم من وكيد الذمة ، وإذا أنا خرجت ، واجتمعت بملوكهم ، ردوا ماأخذوه) [٣٦] يقول اليسع : (فأعلمت ابن عياض بما قاله لي ابن هود فقال :

(أيحسب هذا أن الروم تفي له ؟! سيتبع رأيي حين لاينفعه ، فتضرعت إلى المستنصر ، فأبى فخرجنا جميعا نؤم العدو حتى وصلنا ، فأمراني بكتابين عنهما إلى الملكين مونق وفرانده، وكتاب عن ابن عياض إلى صهره أبي محمد [٣٧] ليصل بعسكر بلنسية . . .) [٣٨]

وقد شارك اليسع في الجهاد ضد النصارى تحت راية ذينك الرجلين ، حيث ذكر أنه خرج مع جيش بلنسية والذي يقوده ابن مردنيش ، وأنه قاتل معهما في الوقيعة الكبرى التي وقعت قرب جنجالة [٣٩] سنة ٥٤٠هـ [٤٠] والتي استشهد فيها عدد كبير من المسلمين ، ومنهم ابن هود ، وابن مردنيش ، بينما سلم الملك المجاهد عبدا لله بن عياض [٤١] ويبدو أن مشاركته في هذه المعركة لم تكن الوحيدةفي هذا الميدان ، فقد ذكر أثناء حديثه عن الأمير عبدا لله ابن عياض أنه حضر معه أيام مملكته حروبا [٤٢] ، كما ذكر عددا من القصص التي جرت لابن عياض مع الجند النصارى قبيل وأثناء المعارك ، وهذا مما يدل على مشاركاته المتعددة معهم في ميادين الجهاد [٤٣]

رحيله إلى المغرب ثم إلى مصر :

ذكر اليسع أنه حينما ضعفت دولة المرابطين بالأندلس في أواخر العقد الثالث من القرن الخامس الهجري اشتد البلاء هناك ، كما كثر الهيج ، وغلت مراجل الفتنة [٤٤] ، ويبدو أن هذا الواقع السيء الذي حل بمسلمي الأندلس آنذاك ، إلى جانب وفاة المستنصر بالله بن هود سنة ٥٤٠هـ [٤٥]، ثم الملك المجاهد عبدالله بن عياض سنة ٥٤٢هـ [٤٦] كانا من الأسباب الرئيسة التي دفعت اليسع إلى الرحيل من الأندلس إلى المغرب .

ولم يذكر المؤرخون الذين ترجموا لليسع تاريخ رحيله من الأندلس إلى المغرب ولكن باستقراء بعض النصوص التاريخية التي نقلها بعضهم عنه يتبين لنا أن ذلك الرحيل كان في آخر سنة ٥٤٢هـ أو أوائل السنة التالية لها ، فقد ذكر أنه شارك مع ابن عياض في المعركة التي قتل فيها ، وكان ذلك في شهر ربيع الأول من سنة ٥٤٢هـ [٤٧]، كما ذكر لنا أنه في سنة ٥٤٣هـ خرج من مراكش ببلاد المغرب [٤٨] ، وعلى هذا يمكن القول بأن ارتحال اليسع من الأندلس إلى المغرب كان إما في أواخر سنة ٥٤٢هـ أو في مستهل السنة التالية لها ، ولم تطل مدة إقامته في تلك الرحلة ببلاد المغرب ، فقد عاد إلى الأندلس حيث يذكر ابن الزبير أنه في سنة ٥٤٤هـ سمع صحيح البخاري من العالم ابن هذيل [٤٩] ببلنسية . [٥٠]

ويبدو أن اليسع أثناء إقامته ببلاد المغرب كان محل احتفا قادة الموحدين لاسيما عند المؤمن بن علي (٥٢٤ - ٥٥٨هـ) وهذا مما يدل على مكانته ، وقد مكنه هذا من الاطلاع والأخذ مباشرة من كبار قادة وشيوخ الموحدين ،

كما صرح بذلك حينما تحدث عن أخبار تلك الدولة .[٥١]

ويذكر ابن الزبير أن اضطراب الأحوال السياسية التي حلت بالأندلس في منتصف القرن السادس دفعت اليسع أن يستأنف رحلته مرة أخرى حيث توجه إلى أفريقيا ، ثم الإسكندرية ، فالقاهرة .[٥٢]

أما تاريخ ذلك الانتقال ، فقد ذكر المقري أنه كان سنة ٥٦٠هـ[٥٣] حيث حل بالإسكندرية ثم القاهرة ، وقد باشر التعليم فيها[٥٤] وإبان إقامته بالقاهرة قربه السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٧ - ٥٨٩ هـ) حيث أجزل إحسانه إليه ، وأجرى له في كل شهر ما يقوم به ، كما بنى له بالقاهرة دارا على شاطيء النيل وجعل لها اسطوانا يزار فيه ، وكان يشفعه في حوائج الناس[٥٥] ويبدو أن اليسع كان أثناء إقامته بمصر يتنقل بين الإسكندرية والقاهرة فقد أشار ابن الزبير أنه أقرأ بهما[٥٦] . كما روى ابن الأبار عن شيخه أبي عبدا لله التجيبي أنه لقيه بالإسكندرية سنة ٥٧٠هـ ثم لقيه بالقاهرة ثانية بعد صدوره من الحج[٥٧] .

وقد ذكر المؤرخون أن سبب تبوئه تلك المنزلة العالية عند السلطان صلاح الدين الأيوبي بمصر أنه أول من خطب للعباسيين بمصر على المنابر العبيدية سنة ٥٦٧هـ ، حيث دعى للخليفة العباسي ، وأسقط اسم الخليفة العبيدي العاضد (٥٥٥ - ٥٦٧هـ) حيث صعد المنبر والأغزاز حوله وسيوفهم مصلتة خوفا من الرافضة أن يعترضوا عليه[٥٨]، تجاسر على ذلك حين تهيبه سواه فحظي بعد هذا العمل بمكانة عالية عند السلطان صلاح الدين[٥٩] .

هكذا يرى كل من ابن الأبار ، وابن العماد الحنبلي أن اليسع هو أول من أعلن إسقاط الخطبة للعبيديين وخطب للعباسيين بمصر سنة ٥٦٧هـ . لكن

المصادر الأيوبية والمحلية لم تذكر إليسع ، بل ذكرت أسماء علماء آخرين رأت أنهم هم أول من تولى الخطبة في ذلك ، فأبوشامة يذكر أن الذي خطب بمصر لبني العباس أولا هو أبو عبدا لله محمد بن المحش بن الحسن بن أبي المضاء البعلبكي (٦٠) ، كما يذكر أن ابن الدبيثي قال بذلك في تاريخه (٦١) . أما ابن الأثير (٦٢) ، وابن واصل (٦٣) ، وابن إياس (٦٤) فيقولون : (إن أول من خطب للمستضيء العباسي هو رجل أعجمي رحل إلى مصر يعرف بالأمير العالم) ، كما يذكر ابن الأثير أنه رآه بالموصل ، وأن الأمير العالم (لما رأى ماهم فيه من الإحجام وأن أحدا لم يتجاسر يخطب للعباسي قال : أنا ابتديء بالخطبة له فلما كان أول جمعة من المحرم - يعني من سنة (٥٦٧هـ) صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضيء . (٦٥)

وقد أشار المقريزي إلى هؤلاء جميعا حيث ذكر في أحداث سنة ٥٦٦هـ أنه اليسع الغافقي (٦٦) ، ثم ذكر بعد ذلك أنه رجل يقال له الأمير العالم (٦٧) . وفي رواية ثالثة ذكر أن اسمه أبو عبدا لله محمد بن الحسن بن الحسين بن أبي المضا (٦٨) أما ابن تغري بردي فقال : (واختلفوا في الخطيب فقيل : إنه رجل من الأعاجم يسمي الأمير العالم وقيل : هو رجل من أهل بعلبك يقال له محمد ابن المحسن بن أبي المضاء البعلبكي (٦٩)

هكذا تباينت الروايات التاريخية حول اسم أول من خطب للعباسيين بمصر معلنا إسقاط دولة العبيديين هناك ، وهذا الحدث يعد من الأحداث الهامة في تاريخ العالم الإسلامي ، ويلاحظ أن تلك الروايات بالرغم من اختلافها حول اسم الشخص إلا أنها تتفق على أنه لم يكن من مصر ، بل كان من خارجها ، وفي التوفيق بين هذه الروايات يمكن أن يقال : إن إعلان الخطبة [illegible] متعددة في مدينة القاهرة ، وهذا

ذكر أن كل واحد من هؤلاء الثلاثة هو أول من أعلن قطع الخطبة حسبما بلغ كل مؤرخ .

وفاته :

توفي اليسع في مدينة القاهرة يوم الخميس التاسع عشر من شهر رجب سنة خمس وسبعين وخمسمائة(٧٠)، وكان مسنا (٧١).

ثانيا : جهوده في البحث التاريخي :

كتابه المغرب :

تبين لنا من خلال العرض السابق أن اليسع كان شخصية علمية تنقلت بين الأندلس ، والمغرب ، ثم استقر بها المقام في مصر ، حيث حظي بمكانة جيدة عند السلطان صلاح الدين الأيوبي،وقد ذكر المؤرخون أنه ألف بها كتابه في التاريخ حيث استهله بقوله :(الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علما ووسع العصاة رحمة وحلما)(٧٢) . وقد اختلف المؤرخون في تسمية هذا الكتاب فبعضهم سماه (المغرب في محاسن المغرب) وممن قال بهذا ابن الأبار(٧٣) ، وابن الزبير(٧٤) ، وابن حجر(٧٥) ، أما ابن سعيد(٧٦) فيطلق عليه اسم (المعرب في آداب المغرب)(٧٧). بينما يسميه المقري(٧٨) (بالمعرب في أخبار محاسن أهل المغرب)أما الذهبي فبالرغم من كونه نقل عنه عشرات المرات إلا أنه لم يذكر اسم الكتاب ، بل كان يكتفي بذكر اسم المؤلف سوى مرتين حيث قال فيهما : قال اليسع في تاريخه(٧٩) ولا يعني هذا عدم معرفة الذهبي باسم ذلك الكتاب ، لكن عدم ذكر اسم الكتاب منهج سلكه في جميع المصادر التي اعتمد عليها ، أو أفاد منها في كتاباته .

ويبدو أن الاسم الذي ذكره ابن الأبار ، وابن الزبير ، وابن حجر هو الاسم الحقيقي[٨٠] لذلك الكتاب ، إذ أن ابن الزبير ، وابن الأبار كانا أقرب من غيرهما إلى المؤلف وعصره حيث أمدانا أكثر من غيرهما بمعلومات جيدة ومفصلة عن المؤلف وحياته العلمية ، إضافة إلى كونهما قد وقفا على الكتاب كما أشارا إلى ذلك .[٨١] أما أصحاب التسميات الأخرى فلا أستبعد أن يكون الاسم الذي ذكروه قد وقع فيه تصحيف[٨٢] أما منهم لاسيما وأنهم أبعد من سابقيهم عن المؤلف وعصره ، أو من النساخ الذين نسخوا الكتاب ، وقد أشار ابن القطان إلى وجود عدد من النسخ لهذا الكتاب وأن بينها اختلافا فقد قال – حينما ذكر أن اليسع ذكر أسماء العشرة من أصحاب ابن تومرت – :

(ولم أجد في هذه النسخة - يعني النسخة التي اعتمد عليها من كتاب اليسع – إلا سبعة)[٨٣]

أما سبب تأليف هذا الكتاب فقد جاء بناء على رغبة السلطان صلاح الدين ، وذلك حينما استقر عنده اليسع في مصر ،[٨٤] وعن هذا يقول ابن سعيد :(صنفه بمصر ، وطرزه بالدولة الصلاحية الناصرية)[٨٥] ولعل هذا الأمر هو الذي جعل ابن الأبار يذكر – حينما تحدث عن الكتاب – أن اليسع متهم في هذا التأليف . ومما يؤكد ذلك أن إخراج الكتب والمؤلفات مطرزة بأسماء الملوك والسلاطين ، لم يكن منهجا محبذا عند بعض العلماء فحينما ألف العالم اللغوي أبو غالب تمام بن غالب التياني كتابا في اللغة ووقف عليه مجاهد العامري حاكم الجزر الشرقية (٤٠٧ -٤٣٦ هـ) فأعجبه : فبعث إليه بألف دينار وكسوة على أن يزيد فيه أنه صنفه مطرزا باسم مجاهد فقال أبو غالب : (كتاب صنفته لله ولطلبة العلم أصرفه إلى اسم ملك ! هذا والله مالا يكون .

أبدا) ، وصرف على مجاهد ألف الدينار والكسوة فزاد في عين مجاهد ، وعظم في صدور الناس ، وقد ذكر ابن سعيد أن الحجاري أطنب في ذكر هذه القضية ، وفي شكر الملك والعالم وقال : هكذا ينبغي أن تكون الملوك ، وكذا يجب أن يكون العلماء .(٨٦)

وعلى الرغم من إجماع المؤرخين على أن اليسع ألف كتابه في مصر ، إلا أنهم لايحددون ذلك بالسنة ، ولكن هناك إشارة من اليسع يفهم منها أنه ألف كتابه أو جزءً منه سنة ٥٦٧هـ فقد قال حينما تحدث عن محمد بن سعد ابن مردنيش (. . . له في المملكة خمسة وعشرون عاما إلى تاريخنا هذا) .(٨٧) وقد تولى ابن مردنيش السلطة بعد وفاة ابن عياض سنة ٥٤٢هـ كما يذكر كل من ابن الأبار (٨٨) وابن خلدون(٨٩) وعلى ذلك يكون التاريخ الذي أشار إليه اليسع هو سنة ٥٦٧هـ .)

مصير الكتاب :

بالرغم من أهمية هذا الكتاب لكون مؤلفه من كبار علماء عصره ، إلى جانب أنه ألف للسلطان صلاح الدين الأيوبي إلا أنه قد فقد ، حيث لم يصلنا منه إلا نقول ومقتطفات في ثنايا بعض المصادر التاريخية التي كتبت بعده مثل كتاب نظم الجمان لابن القطان (ت منتصف القرن السابع الهجري) والذهبي (ت ٧٤٨هـ) في كتابيه سير أعلام النبلاء ، وتذكرة الحفاظ ، ومؤلف كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية (ت . ق ٨هـ) وابن عذاري المراكشي في كتابه البيان المغرب (ت٧١٢هـ) وابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥ هـ)في كتابه المغرب في حلى المغرب وابن حجر (ت٨٥٠هـ) في لسان الميزان ، والمقري (ت١٠٤١هـ) في كتابه نفح الطيب .

وقد تفاوتت إفادة هؤلاء المؤرخين من كتاب اليسع كما وكيفا ، ولكنها في مجموعها تمثل مادة علمية تاريخية جيدة في تاريخ المغرب والأندلس ، حيث سدت ثغرات علمية مهمة في تاريخ ذينك البلدين ، ومما زاد من قيمتها كون كاتبها من كبار علماء عصره إلى جانب أنه شاهد عيان لكثير مما كتب ، فضلا عن كون ناقليها من كبار العلماء والمؤرخين ، حيث نهلوا من معين ذلك الكتاب ، وهم بأشد الحاجة إلى ما يطفئ ظمأهم في هذا الميدان .

محتوى الكتاب :

ذكر ابن سعيد أن أول خطبة الكتاب (الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علما ، ووسع العصاة رحمة وحلما)[٩٠] ولما كان هذا الكتاب مفقودا بكامله . فإنه من الصعب التعرف على ما يحويه من مادة علمية على وجه التحديد والدقة ، ولكن باستقراء ما وصلنا منه من نقول ومقتطفات ، إلى جانب ما يوحي به عنوانه من دلالة علمية ، فإنه يمكن القول بأنه كتاب تاريخي موسوعي خاص بالمغرب والأندلس منذ دخول الإسلام إليهما وحتى عصر المؤلف ، وأنه يحتوي على الموضوعات التالية :

١- السير وتاريخ الرجال .
٢- تاريخ الدول .
٣- النظم والجوانب الحضارية .
٤- التعريف بالبلدان والمدن .

ومما يؤكد ذلك أننا نجد المؤرخين والكتاب الذين نقلوا منه جاء اعتمادهم عليه في كتاباتهم ذات الوحدة الموضوعية فالذهبي نجده اعتمد عليه كثيرا عند حديثه عن الرجال في كتابه السير، وكذلك ابن حجر ، بينما نجد المقري أخذ منه في وصف الأندلس ، أما ابن القطان ، وصاحب الحلل الموشية فقد اعتمدا

عليه حين حديثهما عن دولتي المرابطين والموحدين ، وهكذا تنوعت المادة العلمية التي نقلت عن اليسع مما يدل على أن كتابه كان كتابا موسوعيا في حدود إطاريه الزمني والمكاني .

١- حديثه عن السير وتاريخ الرجال :

أما حديثه عن السير وتاريخ الرجال فيبدوا أنه كان أوسعها ، وأنه شغل حيزا كبيرا من الكتاب ، فقد تحدث عن عدد من الشخصيات العلمية والسياسية لاسيما بالأندلس ، وهذا ما جعل الذهبي يعتمد عليه كثيرا في كتابه سير أعلام النبلاء وممن تحدث عنهم : -

- الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل (١٨٠- ٢٠٦هـ)[٩١]
- عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الناصر (٣٠٠- ٣٥٠هـ)[٩٢]
- الحكم بن عبدالرحمن بن محمد المستنصربالله (٣٥٠- ٣٦٦هـ)[٩٣]
- أبو محمد علي بن حزم (ت٤٥٦هـ)[٩٤]
- ابن رذمير ،[٩٥] وهو الفونسو الأول ملك أراجون المعروف بالمحارب[٩٦]
- شريح بن محمد بن شريح (٤٥١- ٥٣٥هـ)[٩٧]
- القاضي أبوبكر محمد بن عبدالله بن العربي (٤٦٨- ٥٤٣هـ)[٩٨]
- أبو عبدالله محمد بن سعد بن مردنيش الجذامي (٥٤٢- ٥٦٧هـ).[٩٩]
- أبو محمد عبدالله بن عياض (ت٥٤٢هـ)[١٠٠]
- أبو عبدالله محمد بن سعد بن مردنيش (٥٤٢- ٥٦٧هـ)[١٠١]
- أبو الحسين بن جبير (ت٦١٤هـ)[١٠٢]
- أبو عبدالله محمد بن معمر والمعروف بابن اخت غانم (ت)[١٠٣]

- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت٤٥٨هـ)[١٠٤]
- أبو عبدا الله محمد بن الفرج بن الطلاع (ت٤٩٧هـ)[١٠٥]
- أبو عبدا الله محمد بن عتاب (ت٥٢٠هـ)[١٠٦]
- أبو الوليد أحمد بن رشد الأكبر (ت٥٦٣هـ)[١٠٧]
- أبو عبدا الله محمد بن أصبغ بن المناصف (٥٣٦هـ)[١٠٨]

وقد تفاوتت كتابة اليسع عن هؤلاء وغيرهم ممن تحدث عنهم ، حيث جاء بعضها مختصرا. بينما فصل القول في أخرى ، ولكن ماذكره عن الجميع جاء مهما ، وذا دلالة تاريخية ، ومن الرجال الذين فصل القول فيهم أبو محمد عبدا الله ابن عياض فقد تحدث عن نشأته ، وشجاعته ، وجهاده للنصارى حيث عده فارس الإسلام في زمانه ، كما تحدث عن نهايته .[١٠٩]

وممن أطنب في ذكرهم أبو الوليد أحمد بن رشد الأكبر حيث ذكر أن له كتابا أسماه بالمتحصل جمع فيه اختلاف أهل العلم من الصحابة والتابعين ، وتابعي التابعين وتسمية مذاهبهم وكتاب المقدمات في الفقه ؟[١١٠] كذلك أعطانا معلومات مفصلة عن الفقيه أبي عبدا الله محمد بن أصبع بن المناصف حيث ذكر أنه ولي قضاء قرطبة في مدة علي بن يوسف بن تاشفين كما قال في وصف إنفاقه :(وقد كنت أسمع بمن وهب الآلاف وألزم ماله الإتلاف ، فيداخلني ما يداخل المُخبَر من تصديق وتكذيب ، وتبعيد ، وتقريب ، حتى باشرته ينفق في كل يوم على أكثر من ثلاثمائة بيت يعيل ديارهم ، ويقيل عثارهم ، وكان يحرث له في ضياعة الموروثة بثمانمائةزوج في كل عام ، فلم يبق عند نفسه منها إلا مايأكل)[١١١]

كذلك فصل القول حينما تحدث عن محمد بن سعد بن مردنيش حيث ذكر فترة حكمه ، وشجاعته في ميادين الجهاد مع النصارى ،كما بين رأيه بوضوح في هذا الرجل حيث أخذ عليه جرأته وإقدامه على الرغم من صغر سنه[١١٢]

وقد تبين لنا من خلال استعراض تاريخ هؤلاء الرجال أنهم جميعا من أهل المغرب أو الأندلس مما يؤكد لنا أن اليسع قد ضمن كتابه عددا كبيرا من تراجم رجالات تلك الديار ، كما لم يكن يقتصر في هذا على شريحة معينة من الناس ، مما يبين أن كتابه كان تاريخا عاما .

٢ـ حديثه عن تاريخ الدول :

يستوحى من النصوص التي وردت إلينا أن اليسع لم يكن يسترسل كثيرا حين حديثه عن الدول ، بل كان يميل إلى الاختصار ، و مع ذلك فقد كان حديثه مهما ودقيقا حيث سد فراغا كبيرا في تاريخ الدول التي تحدث عنها ومنها الدولة الأموية بالأندلس حيث أمدنا بمعلومات جيدة عن تاريخها السياسي والحربي ومن ذلك وصفه لجهاد الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) لاسيما معركة سمورة والتي عدها من أعظم المغازي لولا ما طرأ فيها من تضييع الحزم .[١١٣]

كما تحدث عن واقع الدولة الأموية بالأندلس قبيل تولي عبدالرحمن الناصر (٣٠٠ـ ٣٥٠هـ) السلطة حيث قال :(استضعفت دولة بني أمية ، وقام ابن حفصون وكان نصراني الأصل وأسلم وتنصح وألب وحشد ، وصارت الأندلس شعلة تُضرم ، ولم يبق لبني أمية منبر يخطب فيه إلا منبر قرطبة ، والغارات تشن عليها حتى قام عبدالرحمن الناصر فتراجع الأمر) .[١١٤]

وفي موضع آخر بين أن تولي عبدالرحمن الناصر الأمر كان برأي أهل الحل والعقد الذين لم يجدوا من يصلح للأمر من شباب بني أمية سواه ، كما بين أنه حينما تولى السلطة كانت الدولة الأموية تعاني من ضعف في الجوانب المالية والعسكرية لكنه استطاع التغلب على كل تلك الإشكالات .[١١٥]

وفي عصر الطوائف نقل لنا الذهبي عنه صورة من صور تعامل ملوك الطوائف مع العلماء ، حيث ذكر اليسع عن أبيه أن المعتمد بن عباد (٤٦١ ـ ٤٨٤ هـ) حاكم أشبيلية كان مجتازا من قصره فرأى ابن الطلاع[١١٦] فنزل عن مركوبه وسأله الدعاء وتضرع ، وتذمم ، ونذر ، وتبرع فقال له ابن الطلاع : يامحمد ، انتبه من غفلتك وسنتك .[١١٧]

كذلك تحدث اليسع عن دولة عماد الدولة بن هود (٥٠٣ - ٥٢٤ هـ) ، وموقفه من النصارى ،وموقف المرابطين منه ، ثم بين كيف كانت نهاية تلك الدولة على يد ابنه المستنصر با لله (٥٢٤ - ٥٤٠ هـ) ، وذلك حينما قتل في أحدى المعارك مع النصارى ، كما تحدث عن الظروف السياسية التي نشأت فيها كل من دولة بني عياض في لاردة ،[١١٨] وبني مردنيش يإفراغة[١١٩]،وذلك على أنقاض دولة بني هود ، وفي ثنايا حديثه عن هذه الدول الثلاث ذكر وصفا دقيقا ومعلومات مهمة عن علاقاتها ببعضها وجهادها ضد النصارى ، ومما زاد من أهمية هذه المادة كون اليسع ممن شارك في صنع أحداثها ، حيث كان ملازما لابن عياض وابن مردنيش إبان وقوعها ، وهذا بلا شك مما مكنه من أن يروي عنها العديد من المواقف الجهادية آنذاك .[١٢٠]

أما ما وصلنا من كتابات اليسع عن دولتي المرابطين ، والموحدين فقد كان

أكثر تفصيلا ، ولعل معايشته لسقوط الأولى ونشأة الثانية ، إلى جانب رحيله للمغرب مكنه من الاطلاع على كثير من الأحداث ، ومن ثم تدوينها ، حيث أمدنا بمعلومات جيدة عن معركة الزلاقة[١٢١] وعن أحداث سقوط دولة المرابطين لاسيما معركة البحيرة التي وقعت بين المرابطين والموحدين سنة ٥٢٤هـ والتي انهزم فيها الموحدون أمام جيوش المرابطين[١٢٢] كما ترك لنا وصفا دقيقا لدخول الموحدين مدينتي تلمسان ، وفاس ، بعد انتزاعهما من المرابطين .[١٢٣]

كذلك جاء حديث اليسع مفصلا عن سقوط مراكش بيد الموحدين ، حيث أعطانا تفصيلات مهمة عن هذا الحدث وملابساته لاسيما موقف الموحدين من أهل تلك المدينة المنكوبة ،[١٢٤] كما بين لنا حروب عبدالمؤمن بن علي (٥٢٤-٥٥٨هـ) زعيم الموحدين مع سير بن علي بن يوسف بن تاشفين ،[١٢٥] وفي نهاية حديثه عن تلك الحروب التي وقعت بين الموحدين والمرابطين بين الأسباب التي أدت إلى انتصار الموحدين على خصومهم المرابطين .[١٢٦] وبالإضافة إلى ذلك فقد نقل لنا عن اليسع معلومات مهمة عن تأسيس دولة الموحدين في أيام ابن تومرت لاسيما استيطانه في تينملل ، وتجمع الموحدين حوله ، وبداية بناء الدولة ،[١٢٧] وبعض الأساليب التي نهجها في هذا الميدان ، ومنها تلميع بعض الشخصيات القيادية في نظره مثل أبي محمد عبدالله[١٢٨] البشير .[١٢٩] كذلك ذكره لطبقة السبعين من طبقات الموحدين التي صنفها ابن تومرت حين وضعه لأسس دولته[١٣٠] هذا فضلاعن حديثه عن مسؤليات واختصاصات كل طبقة من هذه الطبقات .[١٣١]

ومن القضايا المهمة التي تحدث عنها اليسع في دولة الموحدين ، مبايعتهم لابن تومرت حيث بين الظروف التي تمت فيها تلك البيعة ، وأن ابن تومرت مهد لذلك بإعداد قاعدة بشرية في تينملل ، ثم دعا أصحابه إلى اجتماع ، حيث قام فيهم خطيبا ، كما ذكر نص خطبته ، ثم أنه لما فرغ من خطبته بادر إليه عشرة من أصحابه فبايعوه .(١٣٢)

كانت هذه أهم الدول التي تحدث عن تاريخها اليسع ، وقد بدا لنا من خلال هذا العرض أن معظم الدول التي تحدث عنها كان معاصرا لها ومطلعا على أخبارها عن قرب ، وهذا بلا شك مما زاد من القيمة العلمية لكتاباته عن تلك الدول .

٣- النظم والجوانب الحضارية .

يعد ما كتبه اليسع في هذا الجانب على الرغم من قلته ، مادة علمية هامة ، وذلك لندرتها ، وانفراده بها في الغالب عمن سواه من المؤرخين فمن القضايا التي تحدث عنها ما ذكره عن محمد بن سعد بن مردنيش صاحب مرسيه وبلنسية من أنه قد اهتم بجمع الصناع لآلات الحروب والبناء والترخيم ، واشتغاله ببناء القصور العجيبة والبساتين العظيمة .(١٣٣) كذلك تحدث عن مرتبات جند المرابطين بالأندلس فذكر أنهم لم يزيدوا فارسا على خمسة دنانير في الشهر ، مع نفقته وعلف فرسه ، لكن من يظهر من الجند نجدة وشهامة وشجاعة ، فإنهم يكرمونه بولاية موضع ينتفع بفوائده . كما ذكر أن المرابطين تركوا حكم الثغور المواجهة لبلاد العدو للأندلسيين لكونهم أخبر بأحوالهم ، وأدرى بلقاء العدو وشن الغارات ولم يمكنوا من ولايتها أحدا سواهم مع

الإحسان إليهم ، كما كانوا متى ماوصلتهم خيل من المغرب بعثوا بها إلى أهل التغور[١٣٤]، كذلك أمدنا بمعلومات مفصلة عن تعبئة المسلمين لجيوشهم قبل لقاء النصارى بالأندلس ، حيث كانوا يجعلون جند الأندلس تحت راية واحدة خاصة بجند الأندلس بينما يبقى بنو هلال وسليم تحت راية أخرى في حين ينضوي أهل المغرب تحت راية خاصة بهم ، كما ذكر أنهم كانوا يستخدمون الطبول لتضليل العدو ، والكمائن لمباغتته .[١٣٥]كذلك يبين أن النصارى كانوا أثناء حصارهم للمدن الإسلامية يستخدمون الأبراج الخشبية من أجل تضييق الخناق على المدن المحصورة .[١٣٦]

وبالإضافة إلى ذلك فقد أعطانا وصفا دقيقا لجند الموحدين أثناء التعبئة للقتال وهو ما يسمى بالنهج التربيعي ، وقد روى ذلك عن غير واحد من جند الموحدين الذين شاركوا في القتال حيث قال راويا عنهم وصف إحدى المعارك مع المرابطين (. . فلما نزلنا من جبل تلمسان ـ يعني الموحدين ـ تبعنا المرابطون فتلاقينا معهم . . . فصنعنا دارة مربعة في البسيط جعلنا فيها من جهاتها الأربع صفا من الرجال بأيديهم القنا الطوال والطوارق المانعة ، ووراءهم أصحاب الدرق والحراب صفا ثانيا من ورائهم ووراءهم المخالي فيها الحجارة ، ووراءهم الرماة بقوس الرجل ، وفي وسط المربعة الخيل ، فكانت خيل المرابطين إذا دفعت إليهم لاتجد إلا الرماح الطوال الشارعة والحروب ، والحجارة والسهام الناشرة . . .)[١٣٧]

كما أعطانا وصفا جيدا لحصار الموحدين لمدينة فاس سنة ٥٤٠هـ ، حيث ذكر أن الموحدين حاولوا الإفادة من الظروف الطبيعية التي تؤدي إلى تشديد الوطأة على المدينة المحاصرة إذ عمد الجيش الموحدي إلى حبس مياه النهر الذي

يشق مدينة فاس بواسطة سده بالحطب والخشب بعد وضع التراب عليه فلما احتبس الماء وصار بحيرة تجري فيه السفن ، عمد إلى هدم السد دفعة واحدة فاندفع الماء بقوة نحو المدينة حيث هدم السور . . وهذا مما أضعف مقاومة المرابطين .[١٣٨]

وبالإضافة إلى ذلك فقد بين لنا اليسع هيئة الجيش الموحدي حين تحركه إلى ميدان القتال ، وأن الموحدين كانوا أحيانا يحيطون تحركاتهم العسكرية بسرية تامة حرصا منهم على مباغتة العدو .[١٣٩] كذلك ذكر أنه في بداية عهد عبدالمؤمن بن علي كان بقرطبة وحدها أربعمائة ألف مقاتل كلهم ممن يحضر المساجد[١٤٠] وبهذا العرض لأهم القضايا في الجوانب الحضارية التي تحدث عنها اليسع تبدو لنا أهميتها لاسيما وأن كثيرا منها قد انفرد بذكرها عمن سواه من المؤرخين المعاصرين لها، حيث أن ما ذكروه عنها كان في الأصل مأخوذا من كتابات اليسع .

٤- البلدان :

على الرغم من قلة المادة العلمية التي وصلتنا عن اليسع في هذا الجانب ، حيث لم يصلنا سوى نتف صغيرة ومتفرقة إلا أنه يستوحى من قراءتها إلمامه في هذا النوع من المعارف إلى جانب دقته في وصف وتصوير ما يتحدث عنه من بلدان أو مدن فحينما تحدث عن الأندلس ذكر أن طولها يمتد من أربونة إلى أشبونة ،[١٤١] وأن قطعها يتطلب ستين يوما للفارس المجد ،[١٤٢] كما ذكر أنه لايتزود فيها أحد بالماء حيث سلك وذلك لكثرة أنهارها وعيونها ، وأن المسافر ربما لقي فيها في اليوم الواحد أربع مدائن ، ومن القرى مالا يحصى وهي بطاح خضر ، وقصور بيض .[١٤٣]

وفي وصف مدينة شنترة [١٤٤] ذكر أن من خواصها أن القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضي أربعين يوما من زرعهما وأن التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة أشبار وأكثر ، كما ذكر أن أبا عبدالله الباكوري وهو ثقة قال له : إنه شاهد عند المعتمد بن عباد رجلا من أهل شنترة أهدى إليه أربعا من التفاح ما يقل الحامل على رأسه غيرها . دور كل واحدة خمسة أشبار ، وقد ذكر الرجل أن المعتاد في شنترة أقل من هذا الحجم لكن إذا أرادوا أن يجيء بهذا العظم قطعوا أصلها وأبقوا منه عشرة أو أقل ، وجعلوا تحتها دعامات من الخشب[١٤٥] ، كما ذكر أن مدينة البساط[١٤٦] مشهورة بالتفاح وأن الدابة لاتحمل أكثر من ثلاث حبات[١٤٧] ، أما ألشن[١٤٨] فقد قال عنها ليس في الأندلس ثمر طيب إلا فيها .[١٤٩]

أما مدينة تينملل والتي اتخذها ابن تومرت قاعدة له ، ثم منطلقا لعملياته العسكرية ضد المرابطين في بداية أمره فقد قال في وصفها : (لاأعلم مكانا أحصن من تينملل[١٥٠] لأنها بين جبلين ، ولايصل إليها إلا الفارس ، وربما نزل عن فرسه في أماكن صعبة ، وفي مواضع يعبر على خشبة ، فإذا أزيلت الخشبة انقطع الدرب . .)[١٥١]

كذلك حدثنا اليسع عن بستان عبدالمؤمن بن علي الذي غرسه خارج مراكش ، حيث ذكر أنه حينما كان بمراكش سنة ٥٤٣هـ كان مبيعه من الزيتون والفواكه يبلغ ثلاثين ألف دينار مؤمنية على رخص الفواكه بها .[١٥٢]

كانت هذه أهم وقفات اليسع التي وصلتنا حول البلدان والمدن ، وعلى الرغم من قلتها إلا أنها توحى باهتمامه بهذا الفن من العلوم إلى جانب كونها

ويبدو هذا واضحا فيما وصلنا من نقول ، إلى جانب أنه قد أشار إلى ذلك في مثل قوله حينما تحدث عن نهاية ابن حمدين قال (. . . ثم تعاورته المحن في قصص يطول شرحها . .)

أسلوب الكتاب :

لعل من المناسب أن نشير قبل الحديث عن مصادر الكتاب إلى الأسلوب الذي كتبت فيه تلك المادة العلمية ، وكيف كان عرض مؤلفها لها ، ومدى إجادته في ذلك .

ذكر ابن الزبير أنه وقف على ورقات من كتاب اليسع فقال عنه :(إنه من أنبه التواريخ أجاد فيه كل الإجادة)[١٥٣] اما ابن سعيد فقال بعد أن ذكر الكتاب ، وأن مؤلفه قد طرزه بالدولة الصلاحية الناصرية : (ونثره كز ثقيل ، ونظمه مغسول ، ليس به طلاوة ، وكأنه أراد معارضة كتاب القلائد ، فنهق أثر صاهل . ولم يأت في جميع ماأراد بطائل[١٥٤]

هكذا تباينت وجهتا نظر هذين الكاتبين إزاء الكتاب وأسلوبه وكل واحد منهما قد اطلع عليه ، كما أن ابن سعيد اقتبس منه بعض النصوص ، ويبدو أن ما ذكره ابن سعيد عن أسلوب الكتاب فيه مبالغة في الانتقاص من قدره . حيث أن ماوصل إلينا منه بواسطة ابن سعيد ، وغيره من الكتاب والمؤرخين الذين نقلوا منه قوي العبارة ، سهل الأسلوب ، خال من التكلف أو السجع الممل ، وهو بحق أفضل من أسلوب كثير من معاصريه كابن القطان أو ابن صاحب الصلاة ، أو البيذق وغيرهم .ولعل مما يؤيد هذا القول أن الذهبي لقبه بالأديب[١٥٥]، ولاشك أن هذا اللقب لم يطلق من فراغ ، بل حظي به اليسع

تدل على أن كتاب اليسع قد حوى الكثير من المعلومات في هذا الجانب ،كان هذا عرضا لأهم محتويات الكتاب ، وقد تبين لنا خلاله ما يلي :

١- تنوع محتويات الكتاب حيث شملت تاريخ الرجال ، والدول ، والمدن والبلدان ، فضلا عن النظم والجوانب الحضارية ، وهذا مما يؤكد أن الكتاب الذي حواها مع غيرها لم يكن كتابا تاريخيا فحسب ، بل إنه كان إضافة إلى ذلك ، يحتوي على مادة علمية جيدة في النظم والجوانب الحضارية ، إضافة إلى المدن والبلدان ، ولهذا يبدو لنا أن الكتاب لم يكن تاريخيا ، فحسب بل كان موسوعيا في التاريخ والنظم والجغرافية وخاصة بالمغرب والأندلس .

٢- الدقة في الرصد ، والكتابة ، ولعل كون المؤلف شاهد عيان لكثير مما كتب ، إلى جانب دقته وقوة ملاحظته ، وحسن اختياره لمصادره من الأمور القوية التي ساعدته على ذلك ، ولهذا جاءت كتاباتنا دقيقة لأنها متكئة على مصادر موثوقة فضلا عن كون كاتبها معاصرا لكثير مما كتب .

٣- أن المادة العلمية التي وصلتنا على الرغم من قلة كمها إلا أنها ذات أهمية علمية فقد سدت فجوات مهمة في تاريخ المغرب والأندلس لاسيما ما يتعلق منها بالحضارة والنظم إذ أن ماذكره في هذا الميدان يكاد يكون قد انفرد به حتى عمن عايش تلك الأحداث من المؤرخين .

٤- أنه من خلال استقرائنا لما وصلنا من كتاب اليسع لانستبعد أن يكون قد ألفه على المنهج الحولي - أي أن أخباره مرتبة حسب السنين - ويستوحى هذا من عباراته ، فضلا عن كون هذا المنهج هو المتبع عند سائر المؤرخين المعاصرين للمؤلف .

٥- كذلك استبان لنا أن المؤلف يميل إلى الاختصار مع الدقة في كتاباته ،

لأنه كان يملك مقوماته ، ومن أهمها قوة البيان .

أما وقت تأليف الكتاب فقد ذكر المؤرخون أنه ألفه في مصر بعد استقراره بها . وذلك بناء على رغبة السلطان صلاح الدين الأيوبي[١٥٦] ، وعلى هذا يكون تأليف الكتاب جاء بعد سنة ٥٦٠هـ[١٥٧] ، لكن من يقرأ ماوصل إلينا من الكتاب يتبين أن الكتاب يزخر بمعلومات دقيقة عايشها المؤلف بنفسه منذ العقد الثالث من القرن الخامس الهجري أي قبل تأليف الكتاب بحوالي أربعين عاما ، ومن الصعب أن يكون المؤلف قد احتفظ بكل تلك المعلومات بذاكرته ، وعلى هذا فإني لاأستبعد أن يكون المؤلف قد كتب في كل مناسبة وحادثة طرفا منه في كراسة خاصة ، ثم لما طلب منه السلطان الأيوبي تأليف الكتاب . جمع تلك الكتابات وبيضها في كتاب واحد بعد أن أضاف إليها مايراه مناسبا .

مصادر الكتاب :

يدرك من يقرأ ما وصلنا من كتاب اليسع أن مؤلفه قد اعتمد في جمع مادته العلمية على مصادر متنوعة شأنه في ذلك شأن غيره من المؤلفين لأمثال كتابه ، ويمكن من خلال استقراء مابين أيدينا من مادة علمية أن نستبين ، أن اليسع قد اتكأ غالبا ، على عدد من أنواع المصادر كان من أهمها :

١- المشاهدة والمعاينة .

٢- الرواية مشافهة عمن عاصره .

٣- الرواية عمن سبقه من المؤلفين .

كما استبان لنا أيضا أن اليسع كان في تعامله مع هذه المصادر أثناء جمعه ،وتدوينه للمادة العلمية قد تأثر بالنزعة الحديثية لديه والتي كانت إحدى

مقومات شخصيته العلمية ، ولهذا نجده أثناء ذكره لكثير من الأحداث والقضايا يقول حدثني فلان[١٥٨] ، أو سمعت فلانا[١٥٩] ، أو حدثني غير واحد[١٦٠] ، أو حدثني جماعة[١٦١] ، أو من أثق به[١٦٢] ، أو مما صح عندي[١٦٣] ، أو والذي تحققته[١٦٤] ، أو وكل ما ذكرته فقد شاهدته أو أخذته متواترا[١٦٥] ، أو قرأت بخط فلان[١٦٦] ، وغيرها ، وكان أحيانا يذكر تفصيل الروايات في القضية الواحدة . ومن الأمثلة على ذلك أنه حينما حدث عن الخيمة التي أعطاها المستنصر بن هود للسليطين ملك النصارى قال : وذكر لي جماعة أنه دفع إلى السليطين خيمة كان يحملها أربعون بغلا ثم قال : وذكر لي محمد بن مالك الشاعر أنه أبصر تلك الخيمة قال فما سمع بأكبر منها قط .[١٦٧]

ولاشك أن هذا المنهج في التعامل مع المصادر ، والذي كان سمة واضحة في كتابات اليسع ، قد أكسب كتاباته دقة في التوثيق ، وهذا مما زاد من أهميتها وقيمتها العلمية

أما المشاهدة والمعاينة فقد كانت في الرجال والأحداث التي كان معايشا لها ، أو مشاركا في صنعها ، وقد أكد اليسع أنها من أهم مصادره -كما بينا - ويبدو هذا واضحا حين حديثه عن الصراع الذي وقع بين ابن هود والنصارى ، وكذلك الخلافات التي وقعت بين المستنصر بالله وابن هود ، وابن عياض حيث ذكر أنه كتب عهدا بينهما ، وقد أورد بعض مفردات ذلك الاتفاق.[١٦٨]

كذلك حينما تحدث عن معركة شاطبة ذكر مشاهداته ومشاركاته فيها ، حيث بين أنه لما أغار النصارى عليها بعثه ابن عياض إلى المستنصر بالله بن هود

ليخبره بأن ابن عياض عازم على الخروج إلى النصارى ، وأنه لاداعي لخروجه هو إليهم ، يقول اليسع فلما جئته بهذه الرسالة قال لي :(إنما تريد أن تفسد مابيني وبين الروم ، من وكيد الذمة ، وإذا أنا خرجت ، واجتمعت بملوكهم ردوا ما أخذوه فأعلمت ابن عياض فقال لي : يحسب أن الروم تفيء له سيتبع رأيي حين لاينفعه ، فتضرعت إلى المستنصر فأبى فخرجنا جميعا نؤم العدو حتى وصلنا فأمراني بكتابين عنهما إلى الملكين مونق وفرانده ، وكتاب عن ابن عيّاض إلى صهره أبي محمد - يعني عبدالله بن مردنيش - ليصل بعسكر بلنسية . . .)(١٦٩) إلى أن قال : (فالتقينا نحن والروم ، فكمنوا لنا ألفي فارس وظهر لنا أربعة آلاف ، ونحن نحو الألفين ، ووقع الحرب . . .)(١٧٠) وهكذا استرسل اليسع في ذكر ما عايشه وشاهده من أحداث تلك المعركة وهي معلومات مهمة انفرد بذكر كثير من تفصيلاتها عن غيره من المؤرخين المعاصرين لها إذ أنه شاهد عيان لما ذكر ، ومن مشاهداته وصفه لابن عياض وشجاعته في الحروب حيث ذكر أنه حضر (معه أيام مملكته حروبا ، كان حجرا لايؤثر فيه ، وكان في هيئته كأنه برج غريب الخلقة)(١٧١)

وكان اليسع يقول رأيه بالرجال استنادا على معايشته لهم ، ومشاهداته لتصرفاتهم ، وقد بدا هذا واضحا حين حديثه عن محمد بن سعد بن مردنيش حيث قال :(نازلت الروم المرية عند علمهم بموت ابن عياض ، ولكون ابن مردنيش شابا ، ولكن عنده من الإقدام مالا يوجد في أحد حتى أضر به في مواضع شاهدناها معه ، والرأي قبل الشجاعة . وإلا فهو في القوة والشجاعة في محل لايتمكن منه أحد في عصره . .)(١٧٢) كما قال في وصف أبي القاسم هلال - أحد جند العرب في الأندلس - (. . غزى معنا فكان إذا حضر في

الصف جبلا راسيا يمنع تهائم الجيوش أن تميد ،وقلبا في البسالة قاسيا يقول في مقارعة الأبطال : هل من مزيد ، أبصرته - رحمه الله - أمة وحده يتحاماه الفوارس . .)[١٧٣] أما أبو عبدا لله محمد بن غلبون أحد الثوار بالأندلس في عهد المرابطين - فقال في وصفه رأيته رجلا طوالا جدا .[١٧٤]

كذلك أفاد من مشاهداته في وصف المدن والأماكن التي تحدث عنها ولعل وصفه الدقيق لتينملل أوضح مثال على ذلك[١٧٥] ومن الأمثلة على ذلك أيضا حديثه عن بستان عبدالمؤمن بن علي الذي غرسه خارج مدينة مراكش .[١٧٦]

وكان اليسع يعتبر هذا المصدر من أقوى وآكد المصادر لديه ومن الأدلة على ذلك أنه كان يسمع عن أبي عبدا لله محمد بن أصبغ أنه يهب الآلاف فيداخله ما يداخل المخبر من التصديق والتكذيب حتى باشر ذلك بنفسه ورآه يقوم بما ذكر عنه من الإنفاق فحينئذ زال الشك من نفسه كما يقول .[١٧٧]

كانت هذه نماذج لتعامل اليسع مع المادة العلمية من خلال مشاهداته ومعايشته لبعض الأحداث والقضايا ، ولاشك أنها تعد من أهم إن لم يكن أقوى مصادر جمع المادة العلمية ، ومما زاد من أهميتها في كتابات اليسع ماكان يتمتع به من دقة في الوصف والتصوير ، وقدرة على الكتابة والتعبير ، إلى جانب تمكنه من الاستيعاب ومن الأمثلة على ذلك وصفه لقدرة شريح ابن محمد على الخطابة حيث قال (كان إذا صعد المنبر حن إليه جذع الخطابة ، وسمع له أنين الاستطابة)[١٧٨]

أما المصدر الثاني من مصادر كتابات اليسع فهو الرواية مشافهة عمن عايشه أو قابله أو عاصره وهذا المصدر جاء مهما في كتابات اليسع لأمرين أولهما : أن كثيرا من القضايا التي تحدث عنها كان معاصرا لأحداثها ، كما

كان مقربا ومقدرا عند كثير ممن شارك فيها وهذا مما أكسبه الحصول على كثير من المعلومات المهمة من صناعها مباشرة . أما الأمر الثاني فهو كونه يتعامل مع الرواة بحساسية وحذر حيث لايكتفي أحيانا برواية الآحاد ، كما أنه كان حينما لايذكر اسم الراوي يبين أنه ثقة أو أنهم جماعة ، أو أنه غير متهم ولعل إلمامه بمنهج المحدثين أهله لهذا الأمر حيث عرف ممن يأخذ أو يدع ، وهذا بلاشك مما جعل القاريء لايتردد في قبول ما يذكره اليسع وفق هذا المنهج .

أما أشهر الرواة الذين أخذ منهم هنا فيأتي في مقدمتهم الملك المجاهد ابن عياض ، ومما لاشك فيه أن ملازمة اليسع له حينما عمل كاتبا عنده مكنه من أن يسمع منه كثيرا من الأخبار لاسيما ما يتعلق بوقائع الجهاد التي شهدها ابن عياض ضد النصارى ، وكان يستهل روايته بقوله : حدثني الملك المجاهد ابن عياض ،(١٧٩) أو قوله : حدثني الأمير الملك المجاهد في سبيل الله أبو محمد عبدالله بن عياض .(١٨٠) كما روى أيضا عن المستنصر بالله بن هود ويبدو أن هذا الرجل أقل مكانة عند اليسع من سابقه فهو لايسبق اسمه بشيء من الأوصاف بل يقول حدثني المستنصر أو قال لي .(١٨١) كذلك روى عن عبدالمؤمن بن علي حيث قال سمعت الخليفة عبد المؤمن يقول : ثم ذكر قصة مبايعة الموحدين لابن تومرت(١٨٢). كما روى عن أبيه عيسى بن حزم ،(١٨٣) وعن بعض زعماء العرب وقادة الجيوش بالأندلس كأبي القاسم هلال ،(١٨٤) ومسعود بن عز الناس ،(١٨٥) ومحمد بن مالك الشاعر(١٨٦) وغيرهم . وكان أحيانا لايذكر اسم الراوي بل يكتفي بأن يبين للقاريء بأنه أخذها عن غيره كأن يقول ذكر لي جماعة(١٨٧) أو مما صح عندي(١٨٨) ، أو والذي تحققته ،(١٨٩) أو حدثني من أثق به ،(١٩٠) أو ومن عجيب ماصح عندي .(١٩١) وغير ذلك من

العبارات التي توحي بأن المعلومات التي سيذكرها قد أخذها من مصدر موثوق عنده ، وبالإضافة إلى ذلك فإنه كان حينما يذكر بعض الروايات التي قد تثير بلبلة عند القاريء يسبق ذلك بقوله : وكل ما أذكره فقد شاهدته أو أخذته متواترا ، وقد عمل بهذا حينما ذكر بعض تصرفات ابن تومرت ضد المرابطين مثل وصيته لقومه بأن عليهم إذا ظفروا بمرابطي أو تلمساني أن يحرقوه .(١٩٢) أو قد يقول حدثني غير واحد من الموحدين ثم يذكر أخبارا خاصة بهم .(١٩٣) وهكذا نرى كيف تعددت وسائل اليسع في إثبات وتوثيق الرواية الشفهية ، ولاشك أن إلمامه بآلة علم الرجال ، إلى جانب النزعة الحديثية لديه كانتا من العوامل المساعدة له في ذلك .

أما النوع الثالث من مصادر اليسع وهو النقل ممن سبقه من المؤلفين فقد كان عمله به أقل من سابقيه ، ولعل معاصرة اليسع لكثير مما كتب جعله لايحتاج إلى هذا النوع من المصادر كثيرا ، بل يعتمد على مشاهدته أو سماعه ، ولم نجد فيما وصلنا من كتابات اليسع من هذا النوع لكن هذا لايعني أن اليسع لم يعتمد على هذا النوع من المصادر بل أننا نجزم بأن اليسع قد نقل ممن سبقه وذلك لأن كتابه حوى مادة علمية جيدة عن الدولة الأموية بالأندلس ، وهو لم يكن معاصرا لها وبالتالي لابد أن يكون قد استقى أخبارها ممن سبقه من المؤرخين إلا أنه أغفل ذكرهم ويتأكد هذا الأمر إذا تذكرنا ما يلي :

أولا: أن اليسع كان يتعامل مع تاريخ الدولة الأموية بحساسية أقل من التاريخ المعاصر له .

ثانيا : أنه لم يكن دائما ملتزما بالمنهج الذي ذكرناه ، بل كان أحيانا لايذكر المصدر حتى في القضايا المعاصرة له .

وفي نهاية هذا البحث لابد من الإشارة إلى أن اليسع ربما اعتمد أحيانا على روايات المجاهيل الذين يبدو الضعف على ما يذكرونه واضحا، أو ربما أحال على مصادر غير معلومة ، ومن الأمثلة على ذلك، ما ذكره حين حديثه عن سقوط دولة المرابطين حيث قال بعد ذكره لمقتل الأميرإبراهيم بن تاشفين آخر زعماء المرابطين سنة ٥٤١هـ : وبموته انقرض ملك أهل اللثام والملك لله الواحد القهار . ويذكر أن الأستاذ أبا عبدا لله بن وردى رأى في النوم قبل انقراض المرابطين بيسير قائلا يقول[١٩٤].

ألا أيها المغرور ويحك لاتنم   فلله في ذا الخلق أمر قد انبرم

فلابد أن يرزوا بأمر يسوءهم   فقد أحدثوا جرما على حاكم الأمم

ومن أمثلة إحالته على مصادر غير معلومة قوله حينما تحدث عن المستنصر با لله أحمد بن عبدالملك بن هود : (وكنا نجد في الآثار عن السلف فساد الأندلس على يد بني هود ، وصلاحها بعد على أيديهم)[١٩٥] وما ذكره اليسع هنا عن بني هود غير صحيح ، حيث لم يرد عن السلف ما يعضد قوله ، كما يكن لها تأثير يذكر في الفساد أوالصلاح .

وعلى أية حال إن هذه الهفوات العلمية اليسيرة التي وقع فيها اليسع لاتقلل أبدا من القيمة العلمية لكتاباته التاريخية ، والتي سدت فراغا مهما في المكتبة الأندلسية والمغربية لاسيما في عصري المرابطين ثم الموحدين ، لاسيما وأن مؤلفها قد اتكأ حين تدوينها على مصادر مهمة وجيدة ، مما أكسبها ثقة القارىء ، فضلا عن الدقة والجدة فيما دونه من معلومات .

الحسن التاريخي وربط الأحداث :

إن ما يتمتع به اليسع من مزايا علمية ، ومواهب فكرية ، إلى جانب قدرته على الحفظ والاستيعاب ، ومعايشته لكثير من الأحداث والقضايا التي كتب عنها ، جعلته يملك كثيرا من المقومات التي نمّت حسه التاريخي ، وأعطته قدرة على ربط الأحداث ببعضها ، وحينما نستعرض ما وصلنا من تراثه التاريخي نجده لايكتفي بالسرد التاريخي للقضايا والأحداث ، بل كان يناقش ويحلل بعض القضايا فحينما تحدث عن معركة سمورة في عهد حكم المستنصر (١٨٠- ٢٠٦هـ) والتي انتصر فيها المسلمون على النصارى ، في بادئ الأمر لكن انشغالهم بالغنائم مكن النصارى وهم خارجون من المدينة أن يقتلوا منهم خلقا فقال اليسع عن هذا :(. . .فكانت غزوته من أعظم المغازي لولا ما طرأ فيها من تضييع الحزم . . .)[١٩٦] كذلك حينما تحدث عن ثورة عمر بن حفصون[١٩٧] بالأندلس في عهد عبدا لله بن محمد (٢٧٥- ٣٠٠هـ) حلل أسباب تلك الثورة ، كما بين الظروف التي نشأت فيها[١٩٨] وحينما تحدث عن مصالحة المستنصر با لله بن هود للسليطين الملك النصراني حيث قدم له تنازلات كبيرة بيَّن اليسع أن هذا التصرف خطأ إذ جعل ا لله تدميره في تدبيره هذا[١٩٩].ولكنه مالبث أن علل تصرفات بن هود بقوله : (. . .وقد ندم على فعله من شيطنة الشبيبة ، وطلب ملك آبائه)[٢٠٠] ولما تحدث عن دولة بني هود ذكر أن المستنصر لايملك شيئا من مقومات الحاكم سوى أصالته في الملك ، ولهذا فهو محبب إلى الناس بالصيت[٢٠١]ولما ذكر الخلافات التي نشأت بالأندلس بين ابن هود وابن حمدين ، والمرابطين قال : (وكثر الهيج ، واشتد البلاء بالأندلس ، وغلت مراجل الفتنة) .[٢٠٢]

وفي ثنايا حديثه عن ضعف دولة المرابطين ، أمام القوى الموحدية ببلاد المغرب أدرك بحسه التاريخي عوامل ذلك الضعف ، وأنها بدأت من العدوة الأندلسية الجناح الآخر لدولة المرابطين فقال في هذا :(وكان من أعظم ما تأيد به عبدالمؤمن على المرابطين قيام أهل الأندلس عليهم ، لكونهم أخلوها من حماتها وأسلحتها ، والفساد الأكبر على المرابطين ، نسخ الأمر بأمر غيره ، فكانوا يكتبون اليوم شيئا ، وغدا ينسخونه بغيره ، فيسخر منهم جنودهم ورعاياهم)[٢٠٣] . وبالمقابل فإنه لما تحدث عن نشأة دولة الموحدين بين أن من أقوى أسباب نجاح تلك الدولة إبان مرحلة تأسيسها اهتمام ابن تومرت بالقاعدة الشعبية ، وهم من يسميهم ابن خلدون[٢٠٤] بالعصبية ، حيث كون قاعدة مهمة تسمع من أفرادها بقية عوامهم ، وتطيع دون تردد .[٢٠٥]

وهكذا تبين لنا أن اليسع يملك حسا تاريخيا جيدا ، إلى جانب القدرة على ربط الأسباب بمسبباتها ، والحوادث ببعضها ، وذلك بأسلوب جيد ، وعبارة جزلة مختصرة ، ولم يكن الحس عنده خاصا بالدول ، بل تجاوزها إلى الأفراد ، وقد بدا هذا واضحا حين حديثه عن الرجال ، ومن الأمثلة على ذلك أنه حينما تحدث عن أبي محمد بن عياض في حروبه مع النصارى تنبه إلى أمرمهم وهو أنه حينما أقام بتلك الأعمال كان شابا حدثا ،[٢٠٦] وبالمقابل فقد حاول أن يبين بعض الملابسات التي دفعت المستنصر با لله بن هود إلى تقديم تنازلات كبيرة للملك النصراني حيث قال :(وقد ندم على فعله من شيطنة الشبيبة وطلب ملك آبائه)[٢٠٧]

وهكذا نرى كيف ربط اليسع بين تصرفات الأفراد وأعمارهم ، ليؤكد بهذا أن رصيد التجربة مهم في القيادة والإدارة . وهذا العمل من الأدلة القوية على حسه القوي ، ونباهته في ربط الأحداث بمسبباتها . وبالإضافة إلى ذلك فإن حسه المرهف قد جعله يربط بين تصرفات الأشخاص وطباعهم ، ليخلص إلى القول بأن طباع الرجل تؤثر سلبا أو إيجابا على أعماله وتصرفاته ومن ذلك ماذكره حين حديثه عن محمد بن سعد بن مردنيش وجهاده ضد النصارى حيث قال :(. . ولكن عنده من الإقدام مالا يوجد في أحد ، حتى أضر به في مواضع شاهدناها معه ، والرأي قبل الشجاعة ، وإلا فهو في القوة والشجاعة في محل لايتمكن منه أحد في عصره . .)[٢٠٨] كما أثرت نزعته الدينية على حسه التاريخي وهذا ما جعله يضع الالتزام بالأخلاق الإسلامية من أهم معايير تقويم الرجال لديه ولهذا قال عن ابن سيده[٢٠٩]:(كان شعوبيا يفضل العجم على العرب)[٢١٠] ومن هذا المنطلق جاء حديثه عن أبي القاسم هلال ـ أحد وجوه العرب المجاهدين بالأندلس – فقد وصف شجاعته بقوله :(إذا حضر في الصف جبلا راسيا يمنع تهائم الجيوش أن تميد ، وقلبا في البسالة قاسيا يقول في مقارعة الأبطال :هل من مزيد ؟ أبصرته – رحمه الله – أمة واحدة يتحاماه الفوارس)[٢١١]كما سمى رسالة الفقيه أبي القاسم[٢١٢]بن خياط والتي كتبها على لسان الأذفونش إلى المعتمد بن عباد بالإرهاب ،[٢١٣] وذلك لما تحمله في تلك الرسالة من تحد واضح وتهديد سافر للإسلام وأهله.

الحياد والموضوعية عند اليسع :

إن الحياد والموضوعية والبعد عن التأثر بالعواطف أو المصالح وغيرها من النزعات مطلب مهم عند أي مؤرخ ، بل إن هذا الأمر يعد من السمات المهمة

، التي يجب على مؤرخ كاليسع أن يتحلى بها ، ويكتب التاريخ من خلالها متجردا من أي تأثير أو تأثر وبقراءة ما وصل إلينا من كتابات هذا الرجل نستوحي أن تلك الكتابات جاءت متسمة بالحياد والموضوعية في الرصد أو النقل في معظمها إلا أنها لم تخل أحيانا من بعض الهفوات والمزالق التي جنحت به بعض الشيء عن هذا الطريق ومن أهمها :

تعاطفه الواضح مع دولة الموحدين ويبدو هذا الأمر واضحا من خلال استقراء ماكتبه عن تاريخ هذه الدولة فهو حين جديثه عن مؤسسها ابن تومرت يقول : (لما كان عام تسعة عشر وخمسمائة خرج الإمام المهدي[٢١٤] رضي الله عنه إلى الناس) إن إطلاق كلمة المهدي من اليسع على ابن تومرت لاشك أنه اعتراف منه بادعاء ابن تومرت بأنه المهدي الذي أخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بظهوره ، وهذا الادعاء غير صحيح ، ومتعارض مع الأحاديث الواردة في ذلك . ولاشك أن هذا الأمر غير خاف على اليسع الذي قرأ صحيحي البخاري ومسلم ، كما كان فقيها ،ومشاورا ،حافظا ، ملما بفنون العلم[٢١٥] ؛ وهكذا تأثر بعاطفته إزاء الموحدين فكتم الحق ، وجارى الموحدين في هذا الادعاء الذي يعد مأخذا شرعيا على كل من قال به . وحينما تحدث عن عمليات التمييز التي يقوم بها ابن تومرت لتصفية أصحابه قال : (والذي صح عندي أنهم قتل منهم - يعني الموحدين - سبعون ألف على هذه الصفة)[٢١٦] وقد فصل القول في هذه القضية لاسيما ما وقع على يد البشير سنة خمسمائة وتسعة عشر ، لكنه وعلى الرغم من حسه المرهف ، وعلمه الشرعي الجيد ، لم يعلق على هذه الحادثة التي استحل من خلالها ابن تومرت دماء المسلمين ، دونما مبرر شرعي ، بل لأنه شك في موالاتهم له ، وعدم قبولهم لأفكاره الغالية .

كذلك نجد الحاسة التاريخية بل وحتى الشرعية تضعف عند اليسع ، بل تكاد تنعدم منه حين حديثه عن دخول الموحدين لمدينة مراكش حاضرة المرابطين سنة ٥٤١هـ حيث قال : (. . وقتل في ذلك اليوم ، مما صح عندي ، مانيف على سبعين ألف رجل واستمر القتل على أهل البلد ثلاثة أيام . .) [٢١٧] هكذا أورد اليسع هذه الحادثة الشنيعة والتي عومل بها المرابطون من قبل الموحدين، معاملة الكفار حتى أن ابن الخطيب أسماها الوقيعة العظمى [٢١٨]، دون تعليق أو بيان وجهة النظر الشرعية في مثل هذا العمل ، وهو ممن يملك القول في هذا ، ولاشك أن هذا السكوت دليل آخر على تبلد إحساسه التاريخي والديني إزاء ما يقوم به الموحدون ، بسبب موالاته القوية لهم .

وقد نحى حين حديثه عن المرابطين خصوم الموحدين اتجاها آخر ، حيث ردد التهم التي أطلقها ضدهم الموحدون مثل وصفهم بالتجسيم .[٢١٩] وقد ناقض نفسه في هذه المجاراة حيث قال :(سمى ابن تومرت المرابطين بالمجسمين ، وما كان أهل المغرب يدينون إلا بتنزيه الله – تعالى – عما لا يجب وصفه بما يجب له ، مع ترك خوضهم عما تقصر العقول عن فهمه) [٢٢٠] هكذا نفى اليسع عن المرابطين تلك التهمة التي اطلقها ابن تومرت ضد الموحدين ثم قال بها اليسع نفسه ، ولا شك أن هذا التناقض كان مبعثه مجاملة الموحدين ، وهذا النهج في إلصاق التهم السيئة بالمرابطين كان من السمات البارزة عند مؤرخي الدولة الموحدية كالبيذق ، وابن صاحب الصلاة ، وعبدالواحد المراكشي وابن القطان وغيرهم ، وإذا كان هؤلاء قد جعلوا هذا الاتجاه طريقا إلى الجاه و السلطان حيث عاشوا في وسط البلاط الموحدي ، فما الذي دفع اليسع إلى ذلك . وقد

ألف كتابه في مصر ، وفي ظل دولة ربما اختلفت مع الموحدين ؟ ! .[٢٢١]

ومن المزالق التي وقع فيها اليسع مبالغته في الانتقاص من قدر القاضي أبي بكر بن العربي ومما قاله عنه : (. . نصب السلطان عليه شباكه ، وسكن الأدبار حراكه ، فأبداه للناس صورة تذم ، وسوءة تبلى ، لكونه تعلق بأذيال الملك ، ولم يجر مجرى العلماء في مجاهرة السلاطين وحزبهم . .)[٢٢٢]وهكذا نرى أن ما ذكره اليسع عن ابن العربي فيه مبالغة وعدم موضوعية ، فإذا كان يرى أن مداخلة الحكام مأخذ على القاضي ابن العربي ، فلماذا وقع هو بهذه الهفوة ؟! فقد ألف كتابه لصلاح الدين ، كما أنه عاش آخر حياته في البلاط الأيوبي ، وقيل هذا عمل لدى بني هود وعياض . كما كان مقربا من السلطة الموحدية .

وبهذا العرض السريع يتبين لنا ما وقع فيه اليسع من مزالق حادت به عن جادة الحياد والموضوعية بعض الشيء ، حيث بالغ في سدح الموحدين ، كما وافقهم في ادعاء المهدي لابن تومرت ، وهو يدرك أنه ادعاء باطل وثوب مستعار قصد من ورائه ابن تومرت الوصول إلى بعض المطامح والمصالح و ليقيم حول نفسه هالة تجر الناس إليه[٢٢٣]، كما تبين لنا أيضا جرأة اليسع في النيل من المرابطين حيث وصفهم بالمجسمين وقد ناقض نفسه في هذه القضية ، لكنه أراد مجاراة الموحدين والتملق لهم مهما كان الثمن .

ولعل من الصور الواضحة ، والأدلة القوية في هذا الميدان انتقاصه للقاضي أبي بكر بن العربي في تصرفات ، وقع فيها اليسع نفسه وهي مداخلة الحكام والسلاطين والعيش في بلاطهم .

وفي ختام هذا المبحث لابد من بيان أن هذه المزالق التي حادت باليسع بعض الشيء عن جادة الحياد والموضوعية ، حتى ولو كان ذلك على حساب الحق والتاريخ ، لاتقلل كثيرا من قيمة ما تركه لنا من تراث علمي ، فهي هفوات لم يسلم منها الكثير ممن خاضوا في هذا الميدان ، فضلا عن كونها قليلة إذا ما قورنت بتراثه التاريخي الكبير ، ولعل من المناسب أن نشير هنا إلى أن موضوعية اليسع بدت واضحة حتى مع النصارى الذين كان يظهر كراهيتهم ويدعو على قادتهم فهو حين حديثه عن ابن رذمير يصفه باللعين[٢٢٤] ويقول : (لارحمه الله)[٢٢٥] إلا أن هذا الشنآن لم يمنعه من أن يقول عنه : (وكان ابن رذمير ، معروفا بالوفاء ، حدثني من أثق به أن رجلا كانت له بنت من أجمل النساء ، ففقدها ، فأخبر أن كبيرا من رؤوسهم خرج بها إلى سرقسطة ، فتبعه أبوها وأقاربها فشكوه إلى ابن رذمير ، فأحضره وقال : علي بالنار كيف تفعل هذا بمن هو في جواري ؟ فقال الرومي لاتعجل علي فإنها فرت إلى ديننا فجيء بها ، فأنكرت أبويها وارتدت ، ولما دخل سرقسطة أقرهم على الصلاة في جامعها سبعة أعوام . . .) .[٢٢٦]

قيمة التراث التاريخي لليسع :

لعل من المناسب أن نشير قبل حديثنا عن قيمة التراث التاريخي لليسع أن نبين أن ذلك التراث ينحصر فيما وصلنا من نقول من كتابه المغرب بواسطة كتاب آخرين إذ هو الكتاب الوحيد[٢٢٧] الذي وصلت إلينا مقتطفات منه فقد نقل منه عدد من الكتاب والمؤرخين من المشرق والمغرب والأندلس فمن المؤرخين المشارقة نقل منه الذهبي في كتابيه سير أعلام النبلاء ، و تذكرة

الحفاظ ، وكذلك ابن حجر في كتابه لسان الميزان . أما مؤرخو المغرب فقد نقل عنه كل من ابن القطان في كتابه نظم الجمان ، وابن عذاري المراكشي في كتابه البيان المغرب ، والمقري في نفح الطيب ، ومن مؤرخي الأندلس نقل منه صاحب الحلل الموشية وابن سعيد في المغرب من حلي المغرب .

وقد جاءت نقول هؤلاء المؤرخين متفاوتة كما وكيفا ، إذ أن كل مؤرخ نهل من كتاب اليسع ما كان بحاجة إليه من معلومات فابن حجر أخذ منه مايهم تاريخ الرجال ابتداء من عصر الدولة الأموية بالأندلس وحتى عصر اليسع حيث أفاد منه في ترجمته لسبعة عشر رجلا في كتابيه الآنفي الذكر ، وقد تفاوتت نقوله حيث وصلت في بعضهم إلى ما يزيد على أربع صفحات .

أما صاحب الحلل الموشية وابن القطان فقد جاءت نقولهما منه فيما يتعلق بتاريخ دولتي الموحدين والمرابطين حيث أمدهما بمعلومات مفصلة عن كثير من القضايا لاسيما ما يتعلق بنشأة دولة الموحدين ووضع أسسها ، وكذا ضعف دولة المرابطين ونهايتها .

أما ابن سعيد في كتابه المغرب فقد كانت نقوله من اليسع ذات اتجاهين ؛ الأول منها يتعلق بالرجال والثاني بالمدن و الأقاليم ، و قد سار على هذا النهج - أيضا - المقري في كتابه نفح الطيب ، أما ابن عذارى فقد كانت نقوله منه في جزئيات تتعلق بدولة الموحدين .

هكذا تباينت نقول المؤرخين عن اليسع وهذا مما وفر لنا مادة علمية جيدة نهلها لنا كل مؤرخ حسب ميوله وطبيعة مؤلفه الذي أدرجها فيه ، حيث جاءت هذه النقول مكملة لبعضها أو سدت فجوات عديدة في تاريخ المغرب والأندلس ، كما أماطت اللثام عن عدد من القضايا التاريخية التي سكتت عنها

كتب التاريخ الموجودة بين أيدينا .

ومما زاد من أهمية هذه المادة العلمية كون اليسع معاصرا وشاهد عيان لكثير مما كتب لاسيما ما يتعلق بجهاد النصارى إبان ضعف دولة المرابطين ، وكذلك أحداث سقوط هذه الدولة وقيام دولة الموحدين على أنقاضها حيث صور لنا بعض وقائع تلك الأحداث بأسلوب علمي ، ورواية موثقة وهذا ما جعل المادة العلمية التي وصلتنا من كتابات اليسع ذات قيمة بالرغم من قلة كمها .

ومما زاد من أهميتها - أيضا أنها شملت تاريخ الدول ، والرجال والبلدان فضلا عن النظم والحضارة ؛ مما جعلها موردا لأكثر من باحث ومؤلف لاسيما أنها نقلت بواسطة كتاب ومؤرخين ثقات كان لديهم من النضج العلمي ، والحسي ، المعرفي ، والأمانة العلمية ، ما مكنهم من إثباتها في أماكنها المناسبة في ثنايا مؤلفاتهم بعد نسبتها إلى كاتبها الأول .

الخاتمة :

بعد هذه الدراسة التاريخية التحليلية لليسع وجهوده العلمية نخلص إلى عدد من القضايا التي بدت لنا واضحة جلية ومن أبرزها ما يلي : -

- إن كتابات المؤرخين المسلمين تشكل حلقات في سلسلة واحدة بمنظومة التاريخ الإسلامي مهما تباعدت أوطانهم ، وتباينت أزمانهم ، ويتساوى – في هذا الأمر – المؤرخون الذين وصلتنا مؤلفاتهم كاملة أو الذين فقدت مؤلفاتهم أو جزء منها ، وذلك لأنهم انبروا لمعالجة قضية واحدة شكلت هاجسا مهما عند الجميع ، ولعل اعتماد عدد من المؤرخين على كتابات اليسع أوضح دليل على ذلك ، حيث أفاد منه ثلة من مؤرخي المغرب والمشرق الإسلامي مما يؤكد قوة وشائج القربى بين المؤرخين المسلمين – أينما كانوا – وقد تبين لنا أن الكتب التي فقدت أو فقد جزء منها تعد ثروة مهمة ، وأن فقدانها لم يؤثر على قيمتها العلمية طالما تيسر الوصول إليها أو بعضها عبر قنوات موثوقة كما هو الحال بالنسبة لكتابات اليسع إذ سدت فراغا مهما وفجوة كبيرة بالمكتبة التاريخية ، ومما زاد من قيمتها أن مؤلفها كان شاهد عيان لكثير مما كتب ، إلى جانب تعدد مصادره ، وقوة رصده لكثير من القضايا التي عالجها .

ـ كما استبان أن كتاب اليسع لم يكن خاصا بموضوع أو إقليم معين ، بل جاء عاما لتاريخ الدول ، والرجال ، فضلا عن النظم والجوانب الحضارية ، وهذا مما زاد من قيمته العلمية ، وجعله موردا مهما لكثير من المؤرخين على الرغم من تباين مؤلفاتهم ، ولاشك أن قوة الكتاب في منهجه ، وأسلوبه ، ولغته ، فضلا عن غزارة مادته العلمية كانت من العوامل المهمة التي دعت أولئك المؤرخين إلى الاعتماد عليه ، والنهل من معينه .

وهكذا تبدو لنا أهمية كتابات المؤرخين الذين فقدت مؤلفاتهم ، أو جزء منها ، وأن فقدانها لا يعني عدم أهميتها ، بل ربما جاء بسبب عوامل سياسية ، أو اجتماعية أو دينية ، أدت إلى أهمالها أو التعدي عليها .

الهوامش

(١) - ذكر المؤرخون أكثر من اسم لمؤلف البسع التاريخي سنذكرها - إن شاء الله تعالى - حين حديثنا عن الكتاب في الصفحات التالية .

(٢) - ابن الأبار : المعجم ٣٣٢ ، التكملة ترجمة ٢١١٢ ، ابن سعيد : المغرب ج٢ ص٨٨ ، المقري : نفح الطيب ج٢ ص٣٧٩ .

(٣) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ص١٤٣ (نقلا عن اليسع) .

(٤) - المقري : نفح الطيب ج ٣ ص ٣٩٧ .

(٥) - صلة الصلة : ق٥ ص٣٠٧

(٦) ابن الزبير : صلة الصلة ق ٥ ص٣٠٧ .

(٧) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٥٠٢ ، ٥١٤ ، ٥١٦

(٨)- المصدر السابق ج ٢٠ ص ٤٤ (نقلا عن اليسع .)

(٩) - المصدر السابق ج ٢٠ ص ٤٣ (نقلا عن اليسع .)

(١٠)- ابن الأبار : التكملة ص ٧٣٥ . المقري : نفح الطيب ج ٢ ص٣٧٩ .

(١١)- ابن الأبار : المعجم ص ٣٣٢ ، التكملة ص ٧٣٤ .

(١٢)- ابن الأبار : المعجم ص ٣٣٢ ، ابن الزبير : صلة الصلة القسم الخامس ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

(١٣)- المعجم ص٣٣٢ .

(١٤)- هو شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن محمد بن شريح بن يوسف ، ولد في سنة ٤٥١ هـ يعد شيخ المقرئين والمحدثين وخطيب أشبيلية ، أجازه أبو محمد ابن حزم ، وقال عنه ابن بشكوال : كان من جلة المقرئين معدودا في الأدباء والمحدثين خطيبا بليغا حافظا

محسنا فاضلا توفي سنة ٥٣٩ هـ ، وكانت جنازته مشهودة . (ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٢٣٤ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص١٤٣)

(١٥)- الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص١٤٢ .

(١٦)- المصدر السابق ج ٢٠ ص ١٤٣ (نقلا عن اليسع).

(١٧)- هو الإمام أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي يعرف بالجد قال عنه ابن بشكوال : كان فقيها عالما حافظا للفقه عالما بالفرائض توفي سنة ٥٢٠هـ وعمره سبعون سنة (ابن بشكوال : الصلة ج ٢ ص ٥٧٧ الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٥٠١ - ٥٠٢ ،، ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٢٤٨ - ٢٥٥ ، ابن العماد شذرات الذهب ج ٤ ص ٦٢)

(١٨)- هو أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن القرطبي يسمى مسند الأندلس محدث قارئ بالسبع ، عده ابن بشكوال آخر شيوخ الأندلس في علو الإسناد ، كما ذكر أنه كان عارفا بالتفسير رحب الصدر لطلابه حيث يجلس لهم النهار كله وبين العشاءين ولد سنة ٤٣٣هـ وتوفي سنة ٥٢٠هـ . (ابن بشكوال : الصلة ج٢ ص ٣٤٩ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ٥١٥ ، تذكرة الحفاظ ج٤ ص١٢٧١ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٤ ص٦١ .)

(١٩)- هو أبو بحر سفيان بن العاص بن أحمد بن العاص من علماء اللغة ، كما كان عالما بالحديث والفرائض عده ابن بشكوال من جلة علماء الأندلس وكبار الأدباء توفي سنة ٥٢٠هـ وقد ناهز عمره الثمانين (ابن بشكوال : الصلة ج٢ ص٢٣٠ الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٩ ص ٥١٦ ،، ابن العماد : شذرات الذهب ج٤ ص٦١).

(٢٠)- صلة الصلة القسم الخامس ص٣٠٧ .

(٢١)- هو أبو عبد الله محمد بن معمر من أعيان مالقة متفنن في علوم شتى إلا أن الغالب عليه علم اللغة ، وقد رحل من مالقة إلى المرية حيث حل عند ملكها المعتصم بن صمادح فأكرمه وبوأه مكانة عالية .

وقد اشتهر بابن أخت غانم حيث نسب إلى خاله غانم بن الوليد المخزومي لاشتهار ذكره وعلو قدره . (ابن سعيد : المغرب ج١ ص٤٣٣ ، المقري : نفـح الطيب ج٣ ص٣٩٧).

(٢٢)- المقري نفح الطيب ج٣ ص٣٩٧

(٢٣)- صلة الصلة ق٥ ص٣٠٧ .

(٢٤)- ابن الأبار : التكملة ج٢ ص٧٤٤، ابن الزبير : صلة الصلة ق٥ ص٣٠٧ .

(٢٥)- أحمد بن سلفة : أخبار وتراجم أندلسية ص٩٦ .

(٢٦) - ابن الزبير : صلة الصلة ق٥ ص٣٠٧ .

(٢٧) - ابن سعيد : المغرب ج٢ ص٤٣٨ .

(٢٨) - هو أحمد بن عبد الملك بن هود المستنصر با لله ورث الحكم عن أبيه عماد الدولة الذي نشأت بينه وبين أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين وحشة، حيث استعان بالنصارى ضد المرابطين ، لكن النصارى اغتنموا فرصة الخلاف فاستولوا على منطقة الثغر ، ولم يبق له سوى روطة حيث مات بها ، فتولى بعده ابنه المستنصر الذي لم يستطع مقاومة النصارى فسلم لهم روطة ، فلما ضعف أمر المرابطين بالأندلس في آخر أيامهم ملك قرطبة وغرناطة ، ومرسيه ، وبلنسبة وقد قتل في إحدى المعارك التي وقعت بينه وبين النصارى وذلك سنة ٥٤٠هـ كما يرى ابن الأبار وابن الخطيب . (ابن سعيد : المغرب ج٢ ص٤٣٨ ، ابن الأثير : الكامل ج٩ ص٢٨٩ ابن الأبار : الحلة السيراء ج٢ ص٢٤٩ - ٢٥٠ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام : القسم الثالث ص٢٠٣ ، المقري : نفخ الطيب ح١ ص٤٤١)

(٢٩) - هو الأمير المجاهد أبو محمد عبد الله بن عياض فارس الأندلس ، وبطلها المشهور ، اتفق عليه أهل شرق الأندلس حينما ضعفت دولة المرابطين هناك ، حيث اتخذ بلنسبة قاعدة له حينما بايعه أهلها .

وقد أشاد المؤرخون بشجاعته ،حيث ذكر المراكشي أنه إذا ركب الخيل لايقوم أحد له وأن النصارى كانوا يعدونه بمائة فارس ،كما ذكر اليسع أن ابن عياض اشجع من ركب

الخيل وأفرس من سام الروم الويل .

أصيب بسهم في إحدى المعارك مع النصارى حيث توفي بمرسيه سنة ٥٤٢هـ (ابن الأبار :الحلة السيراء ج٢ ص٢٣٢ ، ٢٥١ . المراكشي : المعجب ص٣٠٥ ، ابن سعيد : المغرب ج٢ ص٢٥٠ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص ٢٣٧ - ٢٣٩ ، ابن خلدون : العبر ص١٦٦ ، المقري : نفح الطيب ج٤ ص٤٥٦ .)

(٣٠) – الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص ٢٣٨ .

(٣١) – المصدر السابق ج٢٠ ص٤٣

(٣٢) – المصدر السابق ج٢٠ ص٤٣ .

(٣٣) – المصدر السابق ج٢٠ ص٤٣ .

(٣٤) – الحلة السيراء ج٢ ص٢٥٣ .

(٣٥) – الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص ٤٣ (نقلا عن اليسع)

(٣٦) – المصدر السابق ج٢٠ ص٤٣ (نقلا عن اليسع)

(٣٧) – هو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن مردنيش الجذامي حاكم مرسيه وبلنسبة ، كان صهرا للملك أبي محمد عبد الله بن عياض توفي سنة ٥٦٧هـ . (المراكشي : المعجب ص٣٠٥ - ٣٠٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٣ ص٨٩ ، ابن سعيد : المغرب ج٢ ص٢٥٠ ، ابن الخطيب : الإحاطة ج٢ ص١٢١ - ١٢٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٢٤٠ - ٢٤٢ ،.)

(٣٨) – الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٤٤ (نقلا عن اليسع)

(٣٩) – جنجالة : حصن بالأندلس يقع شمال مرسيه. (الحميري : الروض المعطار ص١٧٤)

(٤٠) – ذكر اليسع أن هذه المعركة وقعت سنة بضع وثلاثين وخمسمائة (الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٤٤ ، نقلا عن اليسع) لكن ابن الأبار ، وابن خلدون يريان أنها وقعت في سنة ٥٤٠هـ وهذا القول تؤيده بعض القرائن والأدلة ، كما أنه ينسجم مع

سياق الأحداث . (ابن الأبار : الحلة السيراء ج٢ ص٤٤ ، ابن خلدون : العبر ج٤ ص١٦٦)

(٤١) – ابن الأبار : الحلة السيراء ج٢ ص ٤٣ - ٤٤ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٤٤ (نقلا عن اليسع)

(٤٢) – الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٢٣٨ .

(٤٣) – انظر في تفصيلات ذلك ما ذكره الذهبي عن اليسع في سير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٣٧ - ٢٣٩ .

(٤٤) – الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٤٤ .

(٤٥) – ابن الأبار : الحلة السيراء ج٢ ص٢٤٩ - ٢٥٠ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام القسم الثالث ص٢٠٣ .

(٤٦) – ابن الأبار : الحلة السيراء ج٢ ص٢٣٢ ، ابن خلدون : العبر ج٤ ص١٦٦ .
وذكر ابن الأبار أن ابن عياض قضى نحبه من سهم رمي به في حربه مع النصارى وذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة (الحلة ج٢ ص٢٣٢)

(٤٧) – ابن الأبار : الحلة السيراء ج٢ ص٢٣٢ .

(٤٨) – مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٦٤ .

(٤٩) – هو الشيخ الإمام المقرىء أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن هذيل اليلنسي ، ولد سنة ٤٧١هـ ، ويعد من علماء الأندلس وقرائها المشهورين توفي سنة ٥٦٤هـ (الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢ ص٥٠٦ - ٥٠٧ ، دول الإسلام ج٢ ص٧٨ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج٤ ص٢١٣) .

(٥٠) – الصلة ص٧٢٢ :

(٥١) – مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٠٧ ، ١٠٦ ، ١٣٨

(٥٢) - صلة الصلة القسم الخامس ص٣٠٧ .

(٥٣)- نفح الطيب ج٢ ص٣٧٩ .

(٥٤)- ابن الأبار : المعجم ص٣٣٢ .

(٥٥) - ابن الأبار : التكملة ج٢ ص٧٤٥ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج٤ ص٢٥٠ .

(٥٦) - صلة الصلة ق٥ ص٣٠٧ .

(٥٧) - المعجم : ص٣٣٢ .

(٥٨) - وقد ذكر ابن الأبار أن هذه الرواية ذكرها له الفقيه أبو عبد الله التجيبي شيخه ، وكان التجيبي قد لقي اليسع بالإسكندرية في سنة ٥٧٠هـ ، ثم لقيه بمصر ثانية بعد صدوره من الحج ، حيث ذكر أنه أول من خطب للعباسيين على منابر العبيديين بمصر (المعجم ص٣٢٣ - ٣٢٣)

(٥٩) - ابن الأبار : المعجم ص٣٢٣ ، التكملة ج٢ ص٧٤٤ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج٤ ص ٢٥٠ .

(٦٠) - الروضتين ج٢ ص١٩٠ .

(٦١) - الروضتين ج٢ ص١٩٠ ، وانظر ابن الدبيثي : ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد (مخطوط مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض رقم ٠٨ / ٩٥٣ ذ د ورقة ١٢٦ أ .)

(٦٢) - الكامل ج٩ ص١١١ .

(٦٣) - مفرج الكروب ج١ ص٢٠٠.

(٦٤) - بدائع الزهور ج١ ق١ ص٢٣٥

(٦٥) - الكامل ج٩ ص١١١ .

(٦٦)- اتعاظ الحنفاء ج٣ ص٣٢٦ .

(٦٧) - المصدر السابق ج٣ ص٢٣٦ .

(٦٨) – المصدر السابق ج٣ ص٣٢٦ .

(٦٩) – النجوم الزاهرة ج٥ ص٣٥٥ .

(٧٠) - ابن الزبير : صلة الصلة ق٥ ص٣٠٧ ، ابن الأبار : التكملة ج٢ ص٧٤٥ ؛ المعجم ص٣٢٣ ، ابن حجر : لسان الميزان ج٦ ص٣٠٠ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٤ ص٢٥٠ .

(٧١) – ابن الأبار : التكملة ج٣ ص٧٤٤ .

(٧٢) – ابن سعيد : المغرب ج٢ ص٨٨ .

(٧٣) – التكملة ص٤٤٧ .

(٧٤) – صلة الصلة ق٥ ص٧٠٧ .

(٧٥) – لسان الميزان ج٦ ص٣٠٠ .

(٧٦) – المغرب في حلي المغرب ج٢ ص٨٨ .

(٧٧) – نفح الطيب ج٢ ص٣٧٩ ، وقد أطلق هذا الأسم الدكتور محمود علي مكي ، دون أن يذكر سببا لذلك.(انظر مقدمة كتاب نظم الجمان ص٤٧ ، ص٨٣ حاشية ٣) أما حاجي خليفة فسماه (المغرب في محاسن حلي المغرب) (كشف الظنون ج٣ ص١٧٤٧) .

(٧٨) – سير أعلام النبلاء ج١٩ ص٥٤٥ ، ج٢٠ ص٢٤٠

(٧٩) المصدر السابق : ج١٩ ص٥٤٥ وج٢٠ ص٢٤٠ -

(٨٠) ـ وقد ذكرها أنخل بالنثيا في كتابه تاريخ الفكر الأندلسي دون أن يذكر غيرها (ص٢٤٢) .

(٨١) ـ ابن الأبار : التكملة ج٢ ص٧٤٤ – ٧٥٢، ابن الزبير : صلة الصلة ق٥ ص ٣٠٦ – ٣٠٧ .

(٨٢) ـ ومما يدل على ذلك عدم دقة بعض المؤرخين في نقل عناوين مصادرهم ؛ فمثلا نجد أن ابن الخطيب والمقري قد اعتمدا كثيرا على كتاب ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالإمامة ومع ذلك فقد كانا يسميانه أحيانا تاريخ الموحدين (تاريخ المن بالإمامة : مقدمة المحقق ص٢٤ و٧٧ .)

(٨٣) - نظم الجمان ص١٢٥.

(٨٤)- المقري : نفح الطيب ج٢ ص١٧٩ .

(٨٥) - المغرب ج ٢ ص٨٨ .

(٨٦) - ابن سعيد : المغرب ج ١ ص ١٦٦ .

(٨٧) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص١ ٢٤١ (نقلا عن اليسع)

(٨٨) - الحلة السيراء ج ٢ ص٢٧٢ .

(٨٩) - العبر ج٤ ص١٦٦ .

(٩٠) - المغرب ج٢ ص٨٨ .

(٩١) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٨ ص٢٦٦ - ٢٦٧

(٩٢) - المصدر السابق ج٨ ص٢٦٦ - ٢٦٧ .

(٩٣) - المصدر السابق ج ٨ ص ٢٧١

(٩٤) - المصدر السابق ج١٨ ص١٨٤ ، تذكرة الحفاظ ج٣ ص ١١٤٨ .

(٩٥) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص ٣٩ ، ٤١ .

(٩٦) - المصدر السابق ج ٢٠ ص ١٤٣ .

(٩٧) - المصدر السابق ج ٢٠ ص ٢٠١

(٩٨) - المصدر السابق ج٢٠ ص٢٣٣ - ٢٣٤، تذكرة الحفاظ ج٤ ص ١٢٩٦ .

(٩٩) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص ٢٤٠ - ٢٤٢ .

(١٠٠)- المصدر السابق ج٢٠ ص ٢٣٧ - ٢٣٩ .

(١٠١)- المصدر السابق ج٢٠ ص ٢٤٠

(١٠٢)- المقري : نفح الطيب ج٢ ص٤٨٧ .

(١٠٣) - المصدر السابق ج٣ ص ٣٩٧ .

(١٠٤) . ابن حجر : لسان الميزان ج٤ ص ٢٠٦ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٨ ص١٤٥.

(١٠٥) - ابن سعيد : المغرب ج١ ص ١٦٥ .

(١٠٦) - المصدر السابق ج١ ص ١٦٥ .

(١٠٧) - المصدر السابق ج١ ص١٦٢ .

(١٠٨) - المصدر السابق ص١٦٣ .

(١٠٩) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص ٢٣٧ - ٢٣٩ .

(١١٠) - ابن سعيد : المغرب ج١ ص١٦٢ .

(١١١) - المصدر السابق ج١ ١٦٣ (نقلا عن اليسع) .

(١١٢) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

(١١٣) - المصدر السابق : ج٨ ص ٢٥٤ .

(١١٤) - المصدر السابق : ج٨ ص٢٦٥ .

(١١٥) - المصدر السابق ج٨ ص٢٦٦ - ٢٦٧ .

(١١٦) - هو أبو عبدا لله محمد بن الفرج القطبي المالكي ، مولى محمد بن يحيى الطلاع ولد سنة ٤٠٤هـ كان فقيها حافظا ، صادقا في الفتوى مقدما في الشورى ، قال عنه القاضي عياض :[كان صالحا قوالا للحق .] توفي سنة ٤٩٧هـ . (ابن بشكوال : الصلة ج٢ ص٥٦٤ - ٥٦٥ ، ابن سعيد : المغرب ج١ ص١٦٥ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٩ ص ١٩٩ - ٢٠٠)

(١١٧) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٩ ص٢٠٠ - ٢٠١ .

(١١٨) - لاردة : مدينة تقع بالثغر الشرقي للأندلس شرقي قرطبة على نهر شيقر وهي مدينة قديمة جدد بناءها إسماعيل بن موسى بن لب بن قسى سنة ٢٧٠هـ (ياقوت : معجم البلدان ج٥ ص٧ ، الحميري : الروض المعطار ص٥٠٧).

(١١٩) - إفراغة : مدينة تقع غربي لاردة بينهما ثمانية عشر ميل ، تقع على نهر الزيتون ، كانت هدفا مهما عند النصارى حينما ضعفت دولة المرابطين ، بالأندلس حيث تملكوها سنة ٥٤٣هـ . (ياقوت : معجم البلدان ج١ ص٢٢٧ ، الحميري : الروض المعطار ص٤٨)

(١٢٠)- الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص ٣٨ - ٤٤ وص٢٣٣ - ٢٣٤ و ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ٢٤١

(١٢١)- مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص٦٢ .

(١٢٢) - ابن القطان : نظم الجمان ص١٦٤ - ١٦٥ .

(١٢٣) - مؤلف مجهول : الحلل الموشة ص ١٣٥ - ١٣٦.

(١٢٤) - المصدر السابق ص١٣٩ - ١٤٠ .

(١٢٥) - ابن القطان : نظم الجمان ص٢٤٩

(١٢٦)- مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٣٢ .

(١٢٧) - ابن القطان : نظم الجمان ص١٣٩ .

(١٢٨) - البشير هو : أبو محمد عبد الله بن محسن الونشريشي ، أحد العشرة الذين اختارهم ابن تومرت للأمور الخاصة والمسؤليات الجسام ، وقد أسند إليه مهمة عملية التمييز التي أجراها قبيل معركة البحيرة سنة ٥٢٤هـ ، توفي البشير في تلك المعركة (البحيرة) . (البيذق : المقتبس من كتاب الأنساب ص٢٤ ، ابن القطان : نظم الجمان ص١٦٤ – ١٦٥) .

(١٢٩) - ابن القطان : نظم الجمان ص١٤٦ .

(١٣٠) - المصدر السابق ص٨٣ و ١٢٨ .

(١٣١) - المصدر السابق ص١٢٨ .

(١٣٢) - ابن القطان : نظم الجمان ص١٢٤ - ١٢٥ ، مؤلف مجهول : الحلل الموشبة ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(١٣٣)- مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص ٨٢

(١٣٤) - المصدر السابق : ص ٨٢

(١٣٥) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٢٣٤ .

(١٣٦) - المصدر السابق ج٢٠ ص ٤٠ .

(١٣٧)، مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٣٢ .

(١٣٨) ـ المصدر السابق ص١٣٥ ـ ١٣٦ .

(١٣٩)) ـ المصدر السابق ص ١٤٨ ـ ١٤٩ .

(١٤٠) ـ المصدر السابق ص ٢٤٣ .

(١٤١) ـ أربونة وأشبونة : أربونة مدينة في شمالي الأندلس تقع ثغورها في بلاد الإفرنجة خرجت من حكم المسلمين سنة ٦٣٠هـ (الحميري : الروض المعطار ص٢٤)

أما أشبونة ويقال لها لشبونة فهي مدينة متصلة بشنترين قريبة من البحر المحيط . (ياقوت : معجم البلدان ج١ ص١٩٥) .

(١٤٢) ـ المقري : نفح الطيب ج١ ص١٢٧ .

(١٤٣) ـ المصدر السابق ج١ ص٢٠٨ ٢٠٩ .

(١٤٤) ـ شنترة من مدائن أشبونة تقع قرب البحر فيغشاها ضباب دائم مشهورة بكبر تفاحها وكمثراها .(الحميري : الروض المعطار ص٣٤٧) .

(١٤٥) ـ المقري : نفح الطيب ج١ ص١٦٤ .

(١٤٦) ـ البساط : مدينة بالأندلس مشهورة بخصوبة أرضها (ابن سعيد : المغرب ج١ ص٤١٥) .

(١٤٧) ـ ابن سعيد : المغرب ج١ ص٤١٥ .

(١٤٨) ـ ألش : مدينة بلأندلس من أعمال تدمير ، تشتهر بزبيبها ونخلها الذي لايفلح في غيرها من مدن الأندلس (ياقوت : معجم البلدان ج١ ص٢٤٥ الحميري : الروض المعطار ص٦٤).

(١٤٩) . ابن سعيد : المغرب ج٢ ص٢٧٣ .

(١٥٠) ـ تينملل : قرية صغيرة تقع على رأس جبل درن في بلاد السوس ، ولا يمكن الوصول إليها إلا من طريق واحد لا يتسع لغير فارس واحد ، وهي في غاية الحصانة ، حيث يسد

خللها أقل عصبة من الناس (ياقوت : معجم البلدان ج٢ ص٦٩ ، ابن القطان : نظم الجمان ص٧٥) .

(١٥١) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٩ ص٥٤٥ .

(١٥٢) - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٤٦ .

(١٥٣) - صلة الصلة ق٥ ص٣٠٧ .

(١٥٤) - المغرب ج٢ ص٨٨

(١٥٥) سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٢٠١ .

(١٥٦) - ابن سعيد : المغرب ج٢ ص٨٨ . المقري : نفح الطيب ج٢ ص١٧٩

(١٥٧) - انظر تفصيلات ذلك في ص٣٢ من هذا البحث .

(١٥٨) سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٢٠٢ و ١٣٤ و٢٣٧ وج١٩ ص٢٠٠ .

(١٥٩) مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٠٧ .

(١٦٠) - المصدر السابق ص١٣٢ .

(١٦١) - المصدر السابق ص٦٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٤٢ .

(١٦٢) - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٣٨

(١٦٣) - المصدر السابق ص١٣٩ .

(١٦٤) - المصدر السابق ص١٤٨ .

(١٦٥) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٢٠٢ .

(١٦٦) - المصدر السابق ج٢٠ ص٢٠٢ .

(١٦٧) - المصدر السابق ج٢٠ ص٤٢ .

(١٦٨) - المصدر السابق ج٢٠ ص٤٣ .

(١٦٩) - المصدر السابق ج٢٠ ص ٤٣ - ٤٤ .

(١٧٠) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٤٤ .

(١٧١) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٢٣٨ .

(١٧٢) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٢٤٠ .

(١٧٣) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٣٨ .

(١٧٤) - المصدر السابق : ص٣٩ .

(١٧٥) - ابن القطان : نظم الجمان ص١٤٠ .

(١٧٦) - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٤٦ .

(١٧٧) - ابن سعيد : المغرب ج١ ص١٦٣ .

(١٧٨) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص ١٤٣

(١٧٩) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٢٣٤ .

(١٨٠) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٢٣٧ .

(١٨١) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٤٢

(١٨٢) - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٠٧ .

(١٨٣) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٩ ص ٢٠٠ .

(١٨٤) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٣٨ .

(١٨٥) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٢٣٧ .

(١٨٦) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٤٢ .

(١٨٧) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٤٢ .

(١٨٨) - المصدر السابق : ج١٩ ص٥٤٦

(١٨٩) - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٤٨ .

(١٩٠) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٤٠ .

(١٩١) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٢٣٣ .

(١٩٢) - المصدر السابق : ج١٩ ص٥٤٥ .

(١٩٣) - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٣٢ .

(١٩٤) - المصدر السابق ص١٤٠ .

(١٩٥) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٢٠٢ .

(١٩٦) المصدر السابق ج٨ ص٢٥٤ .

(١٩٧) عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن مشتيم بن دميان ثائر بالأندلس أول من فتح باب الشقاق على المسلمين ، وصفه ابن حيان وابن عذاري وغيرهما من المؤرخين باللعين ، والخبيث ، والمنافق ، وهو أول من أسلم من أسرته حيث نشأ على الإسلام وقد بدأ ثورته على الأمير محمد بن عبدالرحمن الأموي سنة ٢٧٠ هـ حيث اعتصم بحصن ببشتر في ولاية ريه حيث دانت له كثير من الحصون والقلاع ، كما تكون لديه جيش كبير بلغ ثلاثين ألف رجل ، أظهر النصرانية سنة ٢٨٦ هـ ، وقد مات ، وقيل : قتل في عهد عبدالرحمن الناصر (ابن الأبار : الحلة السيراء ج ١ ص١٤٩-١٥١ ، ابن عذارى: البيان المغرب ج٢ ص١٠٥ ، ابن خلدون : العبر ج٤ ص١٤٣ ، ابن الخطيب أعمال الأعلام ج ص٣٤،٤١) .

(١٩٨) . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٨ ص٢٦٥ .

(١٩٩) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٤١

(٢٠٠) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٤٢ .

(٢٠١) - المصدر السابق : ص٤٢ .

(٢٠٢) - المصدر السابق : ص٤٢ .

(٢٠٣) - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٣٢ .

(٢٠٤) - ابن خلدون : المقدمة ص ٢٧٠ .

(٢٠٥) - ابن القطان : نظم الجمان ص١٢٨ .

(٢٠٦) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٢٣٧ .

(٢٠٧) - الذهبي : المصدر السابق ج٢٠ ص٤٢ .

(٢٠٨) - المصدر السابق : ص٢٤٠ .

(٢٠٩) - ابن سيده هو أبو الحسن علي بن اسماعيل المرسي إمام اللغة وصاحب كتاب المحكم للسان العرب توفي سنة ٤٨٥هـ (الحميدي : جذوة المقتبس ص٣١١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٣ ص٣٣٠ - ٣٣١ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٨ ص١٤٤ - ١٤٥) .

(٢١٠) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٨ ص١٤٥ .

(٢١١) - المصدر السابق : ج٢٠ ص٣٨ .

(٢١٢) - هو الفقيه أبو القاسم بن الخياط ، أقام خمسين سنة على العفاف والخير لا تعرف له زلة ، فلما استولى النصارى على طليطلة سنة ٤٧٨ هـ حلق وسط رأسه وشد الزنار ؛ فقال له أحد أصحابه : لماذافعلت ذلك أين عقلك ؟ فقال : ما فعلت هذا إلا بعد ما كمل عقلي ، ثم لجأ إلى النصارى وأخذ يتطاول على المسلمين (ابن سعيد : المغرب ج ٢ ص٢٢) .

(٢١٣) - ابن سعيد المغرب ج٢ص٢٢

(٢١٤) - ابن الأبار : التكملة ج٢ ص٧٤٤ .

(٢١٥) - ابن القطان : نظم الجمان ص١٤٦ .

(٢١٦) - المصدر السابق : ص١٤٦ .

(٢١٧) - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ص١٣٩ .

(٢١٨) - الإحاطة ج١ ص١٨٧ .

(٢١٩) - المصدر السابق : ص٢٤٩ .

(٢٢٠) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٩ ص٥٥٠ .

(٢٢١) - عن الخلاف بين الموحدين والأيوبيين انظر : الذهبي : العبر ج٤ ص٢٠١ ، محمد تقي الدين : مضمار الحقائق ص٢٢٩ .

(٢٢٢) - الذهبي : تذكرة الحفاظ ج٤ ص١٢٩٦ ، سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٢٠١

(٢٢٣) - عن تفصيلات هذه القضية وغيرها من شطحات ابن تومرت انظر الاتجاه الفكري لدعوة ابن تومرت (مقال منشور للباحث في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد السادس سنة١٤١٣ هـ)

(٢٢٤) - الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٤١ .

(٢٢٥) - المصدر السابق : ص٢٣٤

(٢٢٦) - المصدر السابق : ص٤٠ .

(٢٢٧) - ذكر ابن الزبير أن البسع ألف في مصر كتابا في فقهاء الأندلس ، كما ذكر الذهبي أن للبسع في ابن مردنيش عدة تواريخ ، لكنه لم يصلنا شيء من هذه المؤلفات (صلة الصلة ق٥ ص٣٠٧ ، سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص٢٤١)

قائمة المصادر والمراجع :

ابن الأبار : أبو عبدا لله محمد بن عبدا لله القضاعي (ت ٦٥٨ هـ)
- التكملة لكتاب الصلة
نشر وتصحيح السيد عزت العطار الحسيني ١٣٧٥ هـ .
- الحلة السيراء .
تحقيق حسين مؤنس . نشر الشركة العربية للطباعة . الطبعة الأولى ١٩٦٣م .
- المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي .
نشر دار صادر بيروت مصور عن طبعة محريط ١٨٨٥م
ابن الأثير : أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ)
- الكامل في التاريخ .
نشر دار صادر بيروت ١٣٨٥ هـ .
الأيوبي : محمد تقي الدين عمر شاهنشاه (٦١٧ هـ)
- مضمار الحقائق وسر الخلائق
تحقيق حسن حبشي . عالم الكتب بالقاهرة ١٩٦٨م
ابن إياس : أبوالبركات محمد بن أحمد (٩٣٠ هـ)
- بدائع الزهور في وقائع الدهور . طبعة بولاق ١٣١٢ هـ
بالنثيا : أنخل جنثالث
- تاريخ الفكر الأندلسي
ترجمة الدكتور حسين مؤنس القاهرة ١٩٥٥م.
ابن بشكوال : أبوالقاسم خلف بن عبدا لله (٥٧٨ هـ)
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم
تحقيق عزت العطار . نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٥٥ م

البيذق : أبوبكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق (ت . ق ٦ هـ)
- المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب
تحقيق عبدالوهاب منصور
دار المنصور للطباعة والوراقة بالرباط ١٩٧١م
ابن تغري بردي : جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ)
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب . نشر وزارةالثقافة والإرشاد القومي بمصر .
الحموي : أبوعبدا لله ياقوت بن عبدا لله (ت٦٢٦ هـ)
- معجم البلدان
نشر دار صادر بيروت
الحميدي : أبوعبدا لله بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ)
- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس
تحقيق إبراهيم الأبياري الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ
الحميري : محمد بن عبدالمنعم (ت٩٠٠هـ)
- الروض المعطار في خبر الأقطار
تحقيق إحسان عباس نشر مكتبة لبنان ببيروت الطبعة الثامنة ١٩٨٤م
ابن الخطيب : أبو عبدا لله محمد بن عبدا لله (ت٧٧٦هـ)
- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام . القسم الثانى
تحقيق ليفي بروفنسال
نشر دار الكشوف الطبعة الثانية بيروت ١٩٥٦م
- الإحاطة في أخبار غرناطة
تحقيق محمد عبدا لله عنان الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ مكتبة الخانجي بالقاهرة

ابن خلدون : أبوزيد عبدالرحمن بن محمد (٨٠٨هـ)
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر .
نشر دار الفكر بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ
ابن خلكان : أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ)
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان
تحقيق إحسان عباس
دار صادر بيروت
الذهبي : أبوعبدالله شمس الدين الذهبي (ت٧٨٤هـ)
- تذكرة الحفاظ .
الطبعة الثانية مطبعة دائرة المعارف بحيدر آباد ١٣٧٦هـ
- سير أعلام النبلاء تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي
نشر مؤسسة الرسالة الطبعة الحادية عشرة ١٤١٧هـ
ابن الزبير : أبوجعفر أحمد بن إبراهيم (ت٧٠٨ هـ)
- صلة الصلة القسم الخامس : تحقيق عبدالسلام هراس ، سعيد إعراب
نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب ١٤١٦ هـ .
السحيباني : حمد بن صالح
- الاتجاه الفكري لدعوة ابن تومرت .
مقال منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
العدد السادس سنة ١٤١٣هـ .
ابن سعيد المغربي : علي بن موسى بن محمد (٦٨٥هـ)
- المغرب في حلي المغرب .

– المغرب في حلي المغرب .

تحقيق شوقي ضيف نشر دار المعارف بمصر .

السلفي : أحمد بن محمد بن سلفة (ت ٥٧٦هـ)

– أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي

أعدها وحققها إحسان عباس

نشر دار الثقافة بيروت ١٤٠٥ هـ

أبوشامة : أبومحمد عبدالرحمن بن إسماعيل (ت٦٦٥هـ)

– الروضتين في أخبار الدولتين

دار الجيل بيروت

ابن صاحب الصلاة : أبو مروان عبدالملك بن محمد (ت. أواخر ق ٦هـ)

– تاريخ المن بالإمامة

نشر وزارة الثقافة والفنون العراقية في بغداد سنة ١٣٩٩هـ

ابن عذارى : أبو عبدا لله محمد المراكشي (ت بعد ٧١٢ هـ)

– البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب

تحقيق ومراجعة ج . س كولان ، وأ . ليفي بروفنسال

نشر دار الثقافة بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٣م

ابن العماد الحنبلي : عبدالحي بن أحمد بن محمد (١٠٨٩هـ)

– شذرات الذهب في أخبار من ذهب

المكتب التجاري للطباعة والنشر ببيروت

ابن فرحون : المالكي (ت ٧٩٩ هـ)

– الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب

تحقيق : محمد الأحمدي أبو النور . نشر دار التراث بالقاهرة .

ابن القطان : أبو الحسن علي بن محمد الفاسي (ت.ق ٧هـ)

- نظم الجمان في أخبار الزمان
تحقيق محمود علي مكي   نشر دار الغرب الإسلامي ١٩٩٠م
مؤلف مجهول : (ت.ق ٨هـ)
- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية
تحقيق سهيل زكار ، د . عبدالقادر زمامه
نشر دار الرشاد الحديثة بالدار البيضاء الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ .
المراكشي : عبدالواحد بن علي (ت٦٤٧ هـ)
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب
تحقيق محمد سعيد العريان ، ومحمد العلمي العربي
القاهرة مطبعة الاستقامة ١٣٦٨ هـ
المقري : أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (١٠٤١هـ)
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب .
تحقيق إحسان عباس . دار صادر بيروت ١٣٨٨هـ
المقريزي : أبوالعباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ)
- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا
تحقيق جمال الدين الشيال
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٣٨٧هـ
ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ)
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب
تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال
طبعة القاهرة ١٩٥٣م